الحكيم

صادر عن اللجنة الوطنية لتخليد القائد د.جورج حبش

السبت ١٥/ آذار - مارس / ٢٠٠٨

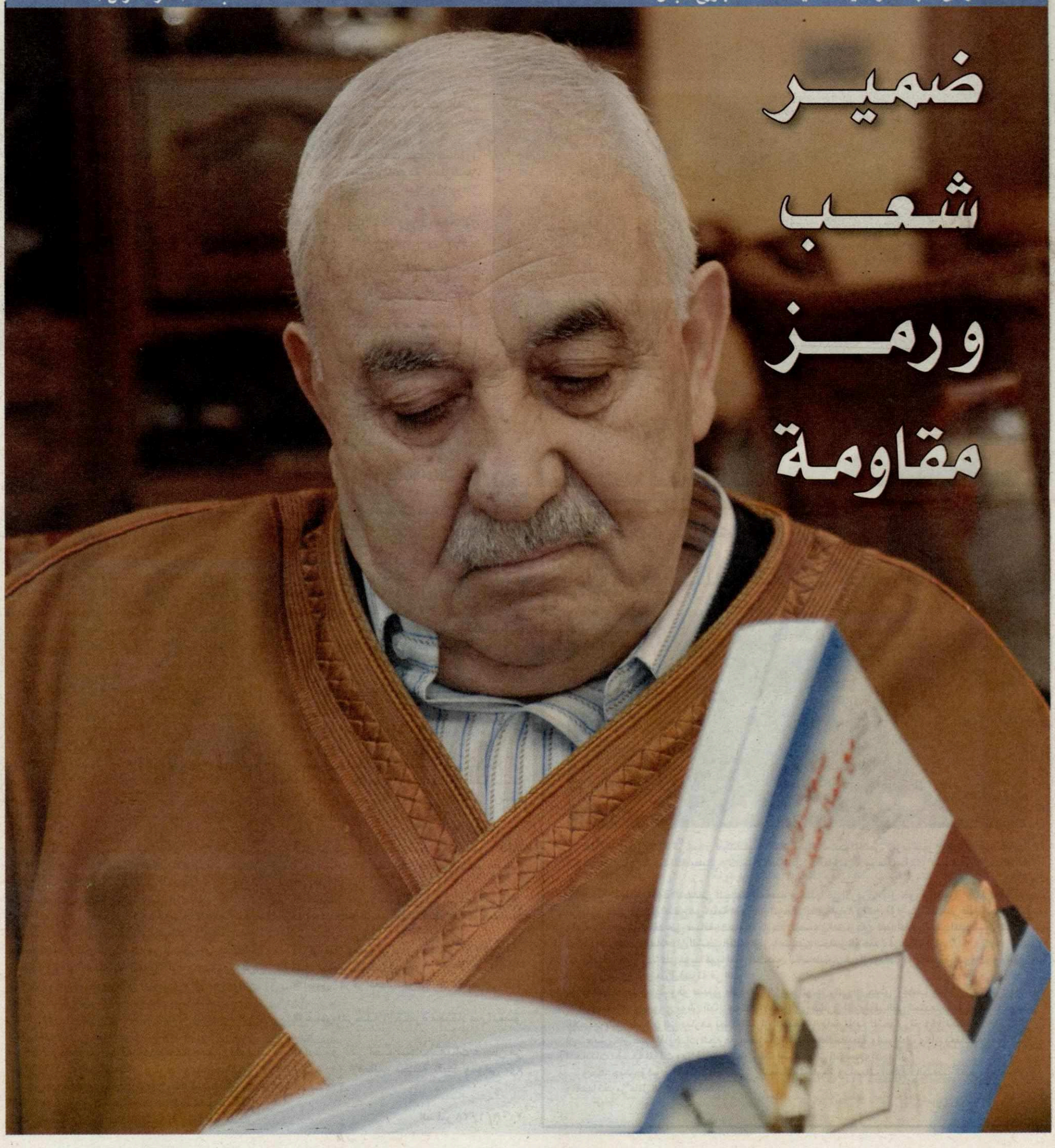

ضمير شعب ورمز مقاومة

سيرة ذاتية...

الحكيم: تاريخ حافل بالعطاء الفكري والنضالي

● ولد في مدينة اللد الفلسطينية يوم ٢/٨/١٩٢٦ لعائلة مسيحية أرثوذكسية ميسورة.

● تزوج في دمشق في أوائل سنة ١٩٦١، وحضر زفافه كل من وديع حداد، والحكم دروزه، وأحمد الطوالبة، وتيسير قبعة وهاني الهندي، ومحسن إبراهيم، وخالد أبو عيشة (أول شهيد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين).

● أنهى دراسته للمرحلتين الابتدائية والثانوية في يافا والقدس، ثم التحق سنة ١٩٤٤ بكلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت، تخرج فيها طبيبا سنة ١٩٥١، وفي أثناء دراسته كان من البارزين في المجال السياسي الذين عملوا من خلال جمعية "العروة الوثقى" في الجامعة، ومن خلال "هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل".

● شارك في تأسيس "كتائب الفداء العربي" مع هاني الهندي وجهاد ضاحي وحسين توفيق وعبد القادر عامر. وهذه المنظمة كانت تدعو إلى الوحدة العربية وتحرير فلسطين.

● من ناشطي "جمعية العروة الوثقى" في الجامعة الأميركية في بيروت التي كان الدكتور قسطنطين زريق محركها الأساسي. ثم شارك في تأسيس "منظمة الشباب العربي" التي نشأت سنة ١٩٥١ ثم أصدرت نشرة "الثأر". وعقدت هذه المنظمة أول مؤتمر لها سنة ١٩٥٦ برئاسة جورج حبش وانبثق عنه "حركة القوميين العرب"، وكان أبرز أعضاء الحركة وديع حداد وهاني الهندي وأحمد اليماني وأحمد الخطيب وصالح شبل وحمد الفرحان وحامد الجبوري.

● ترشح للانتخابات النيابية في الأردن في آب ١٩٥٦.

● منعت حركة القوميين العرب في الأردن سنة ١٩٥٧ فاضطر إلى التخفي والعيش في السر، وفي سنة ١٩٥٨ ذهب إلى دمشق.

● بقي في دمشق طوال فترة الوحدة، وكانت حركة القوميين العرب في هذه الأثناء قد أيدت بقوة الرئيس جمال عبد الناصر، وتولى أحد مؤسسيها (هاني الهندي) إحدى الوزارات.

● بعد الانفصال بقي في دمشق، وفي سنة ١٩٦٤ تحولت قيادة إقليم فلسطين في حركة القوميين العرب التي كان يقودها مع وديع حداد وأحمد اليماني إلى "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" من دون الإعلان رسميا عن قيام هذه الجبهة الذي تأخر إلى سنة ١٩٦٧ وتألفت هذه الجبهة من ٣ مجموعات هي: أبطال العودة، شباب الثأر، جبهة التحرير الفلسطينية (التي كان أسسها أحمد جبريل سنة ١٩٦٤).

● انتقل إلى بيروت سنة ١٩٦٤.

● عاد إلى سوريا بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ الذي حمل قيادة جديدة إلى السلطة في سوريا وأطاحت قيادة أمين الحافظ وميشال عفلق.

● اعتقل في دمشق سنة ١٩٦٨ سبعة أشهر. غير أن وديع حداد نظم عملية خاطفة لإطلاق سراحه، فهاجم القافلة التي كانت تقله من السجن إلى المحكمة متخفيا مع رجاله بثياب الشرطة العسكرية، وتمكن من إنقاذ رفيقه وتهريبه إلى لبنان، وسافر بعدها إلى القاهرة حيث التقى الرئيس جمال عبد الناصر.

● أعلن انتماءه وانتماء الجبهة الشعبية إلى الفكر الماركسي – اللينيني وذلك بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، ثم صاغ مع رفيقه وديع حداد شعارا يقول بمطاردة العدو في كل مكان. وترجم وديع حداد هذا الشعار في عمليات خارجية متلاحقة ضد الطائرات الإسرائيلية، وبرزت فيها أسماء جديدة أشهرها ليلى خالد وأمينة دحبور كمناضلتين بارزتين في المجال الخارجي.

● استمرت علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر وثيقة جدا لكنها بدأت بالفتور في تموز ١٩٧٠ عندما وافق الرئيس عبد الناصر على مشروع روجرز.

● اندلعت مواجهات عرفت بـ"أيلول الأسود" بين الثورة والمقاومة أسفرت عن إخراج قوات الفدائيين من عمان والاحراش فيما بعد.

● جاء إلى لبنان سنة ١٩٧١ بعد انتقال قوات الثورة الفلسطينية إلى الجنوب ومخيمات بيروت.

● أعلن في ١٤/٣/١٩٧٢ التوقف عن إستراتيجية خطف الطائرات لأنها تتعارض مع تحالفات الجبهة الدولية.

● أعلن انسحاب الجبهة الشعبية من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في أيلول ١٩٧٤ احتجاجا على الاتجاه السياسي الجديد للمنظمة والذي عرف ببرنامج النقاط العشر الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني العاشر.

● كان له إسهام بارز في تأسيس "حزب العمل الاشتراكي العربي" في لبنان وبلدان عربية اخرى.

● حاولت إسرائيل اعتقاله وقتله أكثر من مرة كان أبرزها محاولة اختطاف إحدى الطائرات فور إقلاعها من مطار بيروت متجهة إلى بغداد لاعتقادها انه كان بين الركاب، وجرت هذه الحادثة في ١٠/٨/١٩٧٣.

● أجريت له عملية في الدماغ سنة ١٩٨٠ في الجامعة الأميركية في بيروت.

● غادر بيروت في آب ١٩٨٢ مع القوات الفلسطينية وأقام منذ ذلك الحين في دمشق.

● كان له شأن في تأسيس جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني المؤلفة من المنظمات المعارضة لقيادة م. ت. ف والتي اتخذت دمشق مقرا لها.

● قام في حزيران ١٩٨٥ بجولة على الكويت وعدد من دول الخليج في جولة هي الأولى من نوعها في تاريخه السياسي.

● عارض اتفاق عمان بين م.ت.ف والأردن والذي وقع في شباط ١٩٨٦ ودعا إلى إلغائه.

● أصيب بجلطة دماغية في تونس في ١٧/١/١٩٩٢ نقل في أثرها الى احد مستشفيات باريس. وأثار نقله أزمة سياسية داخلية في فرنسا، استقال في أعقابها ثلاثة مسؤولين.

● جاء الى بيروت في ٢٦/٧/١٩٩٩ للمشاركة في حفل تسليم جائزة جمال عبد الناصر التي ينظمها مركز دراسات الوحدة العربية الى محمد حسنين هيكل، وهي الزيارة الاولى له منذ ١٩٨٢.

● استقال من الأمانة العامة للجبهة الشعبية في ١/٥/٢٠٠٠ أثناء عقد المؤتمر العام السادس للجبهة.

● زار لبنان وقابل الرئيس لحود في ٣/٧/٢٠٠٠، ثم قابل الرئيس الحص في ٤/٧/٢٠٠٠.

● أسس "مركز الغد العربي" في دمشق في سنة ٢٠٠٢.

● عاش المرحلة الأخيرة متنقلا بين دمشق وعمان.

● أدخل إلى أحد مستشفيات عمان في ١٧/١/٢٠٠٨ لإصابته بجلطة قلبية وتوفي يوم ٢٦/١/٢٠٠٨.

السفير ٢٨/١/٢٠٠٨

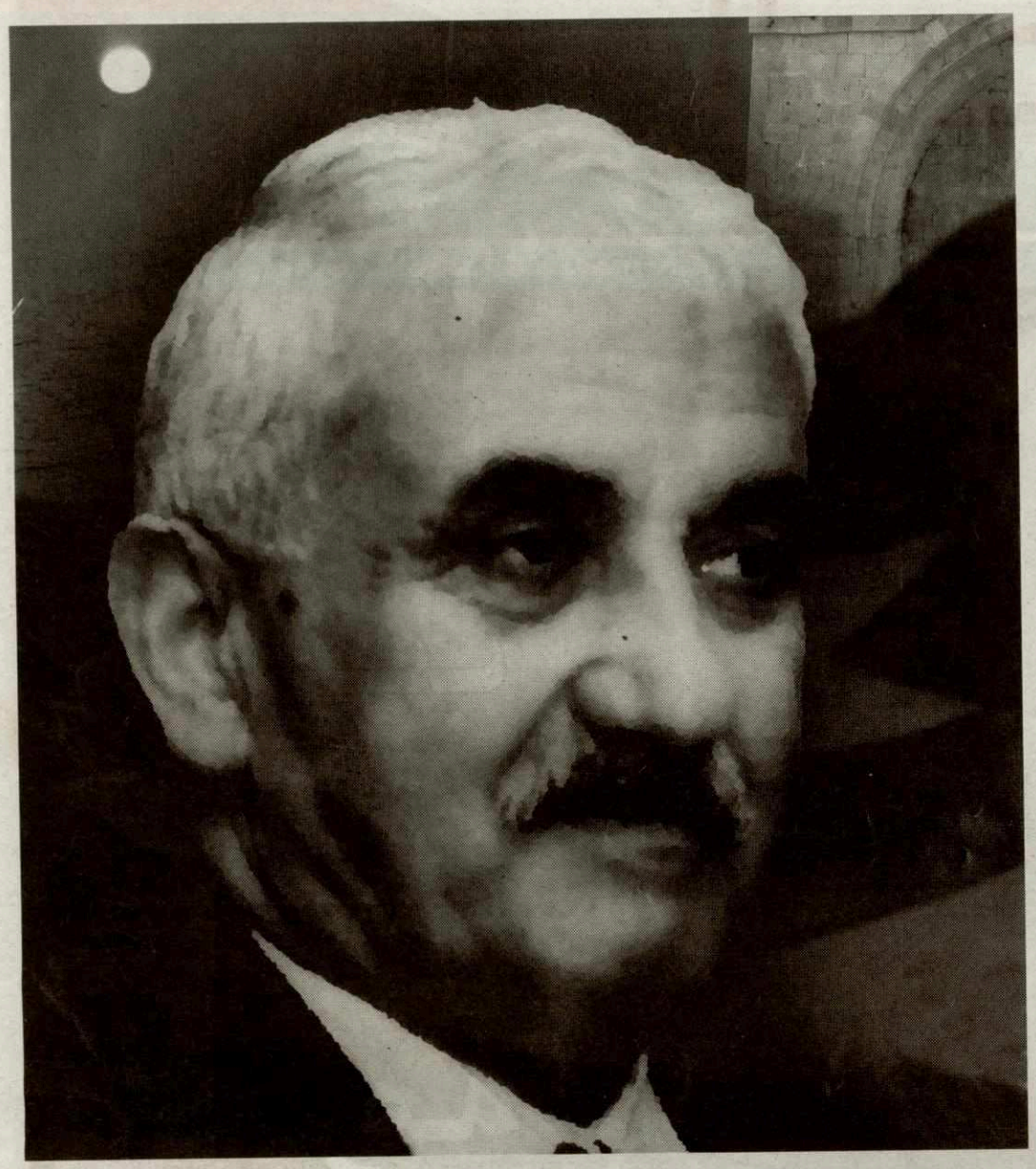

وصيته الأخيرة:
تمسّكوا بالمقاومة واستعيدوا الوحدة

قبل دقائق من وفاته في إحدى مستشفيات عمان مساء السبت الماضي، أعرب جورج حبش عن قلقه إزاء الفرقة بين أبناء الشعب الفلسطيني وحصار "إسرائيل" لقطاع غزة، بحسب ما ذكر مساعدون وأصدقاء له أمس.

وصرح عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية وممثلها في الأردن سهيل خوري بالقول: "كان هاجسه الرئيسي حتى في المستشفى هو كيفية استعادة الوحدة الفلسطينية وفتح حوار بين منظمتي فتح وحماس". وأوضح أن حبش وقف على مسافة متساوية من كلا الفصيلين المتنازعين، لكنه كان من أشد المتحمسين للحوار بينهما انطلاقاً من إيمانه بأن الشعب الفلسطيني "سيكون الخاسر الوحيد" في هذا النزاع.

وأضاف خوري: "كان مؤيداً قوياً لحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، وكان يتحرّق شوقاً لليوم الذي يستطيع فيه أن يرى منزل أسرته في اللد".

وأشار سعيد دياب، وهو صديق مقرب من الزعيم الراحل، الى أن حبش "غضب بشدة" من تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش أثناء جولته الأخيرة في الشرق الأوسط، التي استبعد خلالها ضمناً عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم تطبيقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ لسنة ١٩٤٨. وقال إن "حبش كان ضد المفاوضات الجارية حالياً بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، وكان يعتقد بأن مثل هذه المحادثات مضيعة للوقت وبلا فائدة في ظل رغبة إسرائيل في التوسع والاحتلال".

وحثّ حبش وهو يُحتضر رفاقه على "التمسك بالمقاومة وبأهداف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأهمها تحرير كامل التراب الفلسطيني".

الأخبار ٢٨/١/٢٠٠٨

الرئيس أبو مازن:
نتذكرهٍ دائماً زعيماً حكيماً وقدوة حسنة

أشاد الرئيس محمود عباس، بمناقب الدكتور جورج حبش الأمين العام المؤسس للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومؤسس حركة القوميين العرب.

وقال الرئيس خلال تقبله وأعضاء القيادة التعازي بوفاة د. حبش في مقر الرئاسة في مدينة رام الله: رحم الله فقيدنا الغالي، حكيم الثورة الفلسطينية الدكتور جورج حبش، الذي قاد نضالاً مريراً منذ أكثر من ستين عاماً إلى يومنا هذا، كان رمز النضال والوحدة الوطنية والكفاح الوطني.

وأضاف: قضى د.حبش عمره كله في خدمة الوطن ومن اجل الوطن، بدءا من حركة القوميين العرب وانتهاء بكونه أمينا عاما للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هذا الرجل الذي فقدناه بالأمس، نتذكره دائما وابداً زعيما حكيما وقدوة حسنة، رجلا من رجال الأمة العربية وحركة التحرر العالمية ورجل الثورة الفلسطينية.

وأمت بيت العزاء في مقر الرئاسة وفود من القوى والفصائل وأعضاء الاتحادات الشعبية ومواطنون.

للحكيم في المخيلة الفلسطينية مكانة الأيقونة

للحكيم... جورج حبش في المخيلة الفلسطينية مكانةُ الأيقونة، حتى الذين اختلفوا معه، على معالجة المعقّد بالبسيط و البداهة، أحبوه و احترموه، و أصيبوا بصحبته بعدوى الأمل.

من فرط ما هو صادق و شفاف، كان كثيرا ما يحيل السؤال السياسي المركب إلى مسألة أخلاقية، و موعظة تبشيرية في فقه الحقوق و الكرامة الوطنية. فلا شيء، في نظره، يبرر المساومة مع الظلم التاريخي الذي اقتلع شعباً من وطنه، و طالبه بتقديم البرهان على وجوده. كان علماني التفكير و السلوك... و أصوليا وطنيا، بالمعنى المعاكس لما هو رائج الآن، في الدفاع عن هويته الوطنية التي لم يجد لها معنى خارج هويته القومية. و متحصّناً بثبات المبادئ و تحوُلات الوسائل، كان من أشدّ المدافعين عن التعددية و الوحدة الوطنية، و حل الخلاف في الرأي بالحوار... بالحوار فقط، لا بالسلاح و الانشقاق.

كانت بنيته الفكرية و الأخلاقية الواضحة شديدة الإحكام و التماسك و العناد، تمتّع بكاريزما قياديّة نادرة تستعصي على التفكيك. و حين ينزّل عن المنبر الملتهب بكلماته الناريّة، و تجلس إليه في خلوة حميمية تشعر بأنك في رفقة أب حنون أو صديق حميم... هادئ و شديد الدماثة... يتقن الاستماع إليك، و كأنه يريد أن يعرف منك أكثر مما تريد أن تعرف منه، إنه تواضع الكبار الذين يُنصتون إلى ايقاع الزمن المتغير.

رحل في عام النكبة الستين، دون أن يشفى من جراح النكبة، لا لأنها كانت تراجيديا تاريخية كبرى... بل لأنها ما زالت مستمرة!

الشاعر الفلسطيني محمود درويش

الامين العام للجبهة الشعبية أحمد سعدات:
جورج حبش زعيم قد يُختلف معه لكن لا يختلف عليه

الحفل الكريم مع حفظ الالقاب

نقف اليوم لتأبين القائد والمفكر والمعلم والرمز الوطني والقومي والاممي مؤسس حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الدكتور جورج حبش، في هذه الوقفة حيث يشاركنا احرار الامة والعالم، ويحضرنا القادة الكبار الذين حفروا أسماءهم بأحرف من نار في سفر الثورة الوطنية والعربية والذين غيروا مجرى التاريخ رغم مجافاة الظروف، قادة من أمثال عز الدين القسام وفؤاد نصار، وجمال عبد الناصر، واميل توما، وعبد الخالق محجوب وجورج حاوي و عباس الموسوي، وياسر عرفات، وابو علي مصطفى، واحمد ياسين وفتحي الشقاقي وقافلة الشهداء الذين خضبوا بدمائهم ثرى الوطن العربي الكبير، في هذه المحطة المعنونة بالوفاء للقائد الثوري والانساني النبيل الرفيق جورج حبش الذي نذر حياته ليعيد للانسان انسانيته المسلوبة بقوة القهر والطغيان والظلم، في هذه المناسبة جدير بنا أن نسلط الضوء على أبرز ملامح قائدنا التي أكسبته التميز وشكلت الابعاد الجوهرية لمدرسته الثورية.

فالحكيم القائد قذفته نكبة فلسطين الى رحم الجماهير الشعبية العربية الفقيرة، وظل ابناً وفياً لها، وضميراً لحركتها الثورية ببعديها الوطني والقومي، قابضاً على همومها وأهدافها، في الانعتاق والتحرر والوحدة والتقدم الاجتماعي والديمقراطية، بصلابة وعزيمة لا تعرف الكلل او الوهن او الضعف.

بدأ تجربته مجدفاً ضد التيار والظروف المحيطة المجافية واستشهد وهو ممسك بالمجداف، لم يفقد لحظة ثقته بحتمية الانتصار وقدرة الجماهير التي تعلم منها وعلمها على انجاز التغيير الثوري وتحقيق اهدافها القريبة والبعيدة، انصهرت شخصيته حتى النخاع في العملية الثورية ولم ينفصل عنها حتى توقف قلبه النبيل عن الخفقان، تسلح بالمناعة الثورية والصلابة المبدئية ولم تهزهما التغييرات العالمية العاصفة لصالح معسكر الاعداء، آمن بعمق بضرورة التجدد والتجديد وقاوم التحنط الفكري والمذهبي والميوعة والتحلل والسقوط في شراك العفوية والارتجال، رسخت اقدامه في معسكر الثورة رغم تبدل قواها الدافعة والحراك الجاري على مواقفها صعوداً أوهبوطاً، دخولاً أو خروجاً، فالفكر كما رآه منهجاً وبوصلة، والسياسة ممارسة ثورية محكومة على الدوام بموازين قوى غير ثابتة او مستقرة تحتاج الى سرعة في تقدير المواقف في كل لحظة وظرف ومنعطف تاريخي، والتنظيم وسيلة لتحقيق الاهداف وليس هدفاً، والقيادة منبرٌ للتضحية والعطاء ودفع فواتير الوفاء للجماهير وليست مقعداً وثيراً لجني الارباح وتحقيق اهداف ذاتية نرجسية انانية ضيقة، والقائد ليس نجماً يبحث عن الاتباع او المشايعين او ضاربي الطبول، بل من يسعى للارتقاء بمن حوله الى مستوى القيادة والديمقراطية والممارسة الثورية الخلاقة البديهية التي تمثلها اخلاقيات الثورة والاندماج الابدي مع الجماعة.

والتناقض والخلاف في صفوف الحزب والثورة ظاهرة صحية ومصدر اساسي للارتقاء والتطور، وإن خط تقدم الثورة في مسارها الصحيح يقرره الامساك بقوة بأولوية التناقض مع معسكر الاعداء على سواه من التعارضات في صفوفها.

ناضل الحكيم على الدوام لتجديد دماء القيادة وصولاً الى تجديد نفسه وأعطى لشعبنا وأمتنا النموذج الحقيقي للقائد المترفع عن ذاته وظل دائم العطاء حتى لفظ أنفاسه الاخيرة.

لهذا كله انتزع لقب القائد الحكيم وظل محط اجماع واحترام داخل الجبهة وخارجها، وزعيم قد يُختلف معه لكن لا يختلف عليه، حكيم صفقت له الجماهير بقلوبها وعقولها وحملته على أكفها حياً وشهيداً، وتنادت جماعات في كل الساحات لوداعه وتكريمه، لكن الحقيقة المرة ان حكيمنا قد رحل، وعزاؤنا ان ما تركه من خلاصات تجربة وأخلاق وقيم ومبادئ ظل محفورا في عقولنا، وانه سيبقى على الدوام الغائب الحاضر، فقد بنى مداميك مدرسة ثورية قادرة في كل الظروف على الحياة والتقدم.

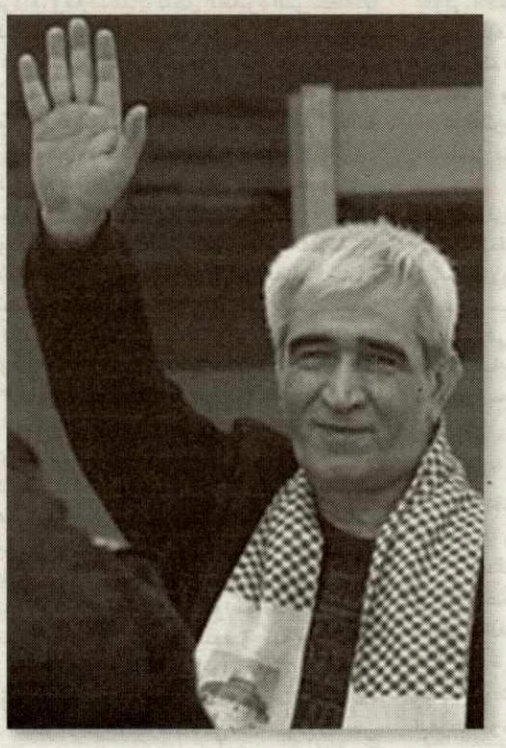

فعهداً لك يا قائدنا ومعلمنا ورمزنا، عهداً لك يا حكيم ان نظل المرابطين راسخي الاقدام في الموقع الثوري الصائب، متسلحين بثوابت مدرستك الثورية، باذلين كل جهودنا لتطويرها لنظل الحاضن الأمين لاهداف فقراء شعبنا، وان تبقى فلسطين كل فلسطين هدفاً حتى تحقيق الدولة الديمقراطية على كامل ترابها.

المجد للشهيد القائد المؤسس الحكيم وكل الشهداء
النصر لشعبنا وأمتنا واحرار العالم

جورج حبش في حوار مع صحيفة « الحياة »...

■ قصة ولادة «حركة القوميين العرب» ■ خطف الطائرات كان ضرورياً في مرحلة معينة ...

■ كارلوس «مناضل ثوري أممي» ... ■ تعذر تحويل بيروت ستالينغراد ثانية فتبلور قرار الخروج وشاركت فيه

لندن - غسان شربل
الحياة - ٠٨/٠١/٢٨/

كان ذلك في العام ١٩٩٥. سألت الدكتور جورج حبش، في منزله في دمشق، عن إمكان عودته الى مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية بعدما سبقه إليها الرئيس ياسر عرفات وآخرون إثر توقيع اتفاق اوسلو في ١٩٩٣. وجاء رده صريحاً واضحاً: «أنا لا أستطيع المرور عبر معبر يرفع العلم الاسرائيلي. لا أستطيع قبول أي عودة مشروطة. مثل هذه العودة تخالف قناعاتي وتفوق قدرتي على الاحتمال». شعرت يومها ان الأمين العام لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» سيموت في المنفى بعيداً عن الضفة الغربية وغزة وبعيداً عن اللدّ التي ولد فيها قبل ٨٢ عاماً. خشيت في تلك الأيام ان يغدر القدر بالرجل قبل ان يروي قصته وتجربته. وهي قصة مهمة وخطيرة ومثيرة على امتداد عقود من عمر المنطقة والعالم. زرته محاولاً استدراجه الى سلسلة «يتذكر». وكانت المهمة شاقة. فهذا القائد الفلسطيني لا ينتمي الى مدرسة البارعين في تلميع أدوارهم أو تسويق حكاياتهم. وأوضاعه الصحية لا تساعد على جلسات طويلة تفتح باب الاسترسال واستعادة المحطات ببريقها وخيباتها. وفي النهاية تفهم دوافع الإصرار والإلحاح وكانت الثمرة أربع حلقات نشرت في مجلة «الوسط» بدءاً من ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر). كانت الصفحة الأولى من «الحياة» في طريقها الى المطبعة حين بلغنا نبأ رحيل «حكيم الثورة» الذي أمضى سنواته الأخيرة في عمان، فسجلنا خبر رحيله. ووجدنا البارحة ان خير تحية نوجهها الي هذا القائد الفلسطيني هو ان نعيد نشر مقاطع محدودة من حديثه الطويل تسلط الضوء على بعض المحطات.

كان حبش لاعباً بارزاً على المسرح الفلسطيني. وكان لاعباً بارزاً على المسرح العربي ايضاً.

وهنا بعض ما دار في الحوار:

‹ ما هي قصة خطف الطائرات الغربية وإنزالها في *مطار الثورة» في الأراضي الاردنية؟

– عملية خطف الطائرات الغربية الى الاردن كانت عملية ضرورية جداً بالنسبة الينا، واستغرقت عمليات الإعداد لها حوالي ستة اشهر، كان هدفها الوحيد – وأرجو ان يكون ذلك واضحاً للجميع – هو مقايضة الرهائن الاسرائيليين بالافراج عن المعتقلين في سجون العدو، ولم يكن هذا العمل موجهاً ضد السلطة الاردنية أو غيرها من الحكومات الاوروبية، اثناء عملية التخطيط كان يهمنا ان تهبط الطائرات في مكان آمن نستطيع الدفاع عنه، وفي الوقت نفسه ان يكون هذا المكان صالحاً لهبوط الطائرات، اذ بالطبع لا يمكن ان ننزل الطائرات في المطارات الحكومية سواء العسكرية او المدنية، وكان المخطط ان نخطف ثلاث طائرات، طائرة اسرائيلية، وطائرة اميركية، وطائرة سويسرية، وبالفعل وصلت ثلاث طائرات الى المطار ولكن لم تكن بينها الطائرة الاسرائيلية، لأنه عندما خطفت الطائرة الاسرائيلية من مطار امستردام، وقع اشتباك داخل الطائرة التي خطفتها الرفيقة ليلى خالد ورفيق من الاورغواي استشهد اثناء الاشتباك، فيما قبضت الشرطة البريطانية على الرفيقة ليلى خالد، وقد وصلت في البداية الطائرة السويسرية ثم الاميركية، وبعد مرور ١٨ ساعة وصلت طائرة ثالثة تطلب النزول وقد التقطنا طلبها عبر اجهزة الطائرات الجاثمة في منطقة صحراوية كان يطلق عليها اسم «قيعان خنا»، وهي منطقة منخفضة ذات تربة صلبة تتحمل هبوط الطائرات، واختير المكان بعدما استشرنا احد المهندسين المتخصصين في هذه المسألة، والطائرة الثالثة كانت بريطانية قادمة من أبوظبي وعلى متنها أحد رفاقنا يطلب اتخاذ الاجراءات اللازمة لنزول الطائرة، كان ذلك يوم ١٩٧٠/٩/٦، اي قبل حدوث الاشتباكات الدامية مع الحكومة الاردنية.

‹ كيف تصرفتم مع ركاب الطائرات؟

– في البداية أطلقنا النساء والاطفال والمسنين وأوصلناهم الى عمان ومن هناك نقلتهم طائرات الى بلدانهم. وبعد ذلك قمنا بعملية فرز لبقية الركاب فاطلقنا بعض الركاب من بعض الجنسيات التي تتخذ حكوماتها موقفاً معادياً لقضيتنا، والباقون كانوا مواطنين يحملون جنسيات مزدوجة. بعد الفرز والتدقيق تبين ان هناك اسرائيليين على الطائرات (لكنهم كانوا يحملون جنسيات مزدوجة)، وقد عرفنا ذلك عندما اكتشف احد الرفاق مجموعة من جوازات السفر الاسرائيلية ملقاة في سلة المهملات. كان عددهم ٥١ اسرائيلياً وكانوا في الطائرات التي أتت من اوروبا، أما الطائرة التي أتت من أبوظبي فكانت تقل بعض الجنود الاميركيين القادمين من الفيليبين وتايلاند وكوريا. وقررنا بعد ذلك الاحتفاظ بالاسرائيليين في منطقة بعيدة عن مكان وجود الطائرات. في هذه الاثناء وصل الينا مبعوث من وزير الدفاع العراقي صالح مهدي عماش، حاملاً برقية منه تطالبنا بإطلاق سراح الرهائن، بالطبع نحن لم نستجب طلبه، وطلبنا من اللجنة الدولية للصليب الأحمر التدخل من اجل اطلاق المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية، كما أرسل أبو عمار وفوداً سياسية ضم أحدها حامد ابو ستة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، طالباً اطلاق الطائرات والرهائن لأن المنظمة بدأت تتعرض لضغوط سياسية كبيرة. كما ارسلت «فتح» مجموعات مسلحة تحت ستار زيارة الطائرات (لأننا كنا سمحنا للمواطنين بزيارة الطائرات في أوقات محددة) وقد حاولت احدى هذه المجموعات الاستيلاء على الطائرات من الداخل، لذلك منعنا اي شخص مسلح من الصعود اليها.

‹ كم يوماً استمرت عملية خطف الطائرات؟

– احتجزنا الرهائن والطائرات الى ١٩٧٠/٩/١٣ اي لمدة اسبوع بعدما اتخذنا قراراً بنسف الطائرات، ونقل الرهائن الى عمان لاستكمال الاتصالات والمفاوضات مع الجهات الدولية المعنية، ويوم ١٦ ايلول (سبتمبر) اندلعت المعارك مع الحكومة الاردنية فكانت عملية حماية الرهائن تزداد صعوبة يوماً بعد يوم. في هذه الاثناء اتصلت بنا السفارة المصرية في عمان وقالت ان الرئيس جمال عبدالناصر يتمنى عليكم إنهاء موضوع الرهائن، على ان تتولى الحكومة المصرية عمليات نقلهم، ومتابعة المطالب التي اعلناها. وافقنا على طلب الحكومة المصرية لأن قضية الرهائن لم تعد تحتل مكاناً مهماً بالقياس الى ما هو حاصل من معارك ومجازر ولأن مصير الثورة ووجودنا أهم بكثير من الرهائن وهكذا أنهيت العملية من دون ان تحقق الهدف الاساسي منها وهو اطلاق المعتقلين في سجون الاحتلال.

‹ هل كان لوديع حداد دور في هذه العملية؟

– بالطبع كان لوديع حداد دورَ اساسي فهو كان المشرف الأول على العمليات الخاصة، لكن تنفيذ العملية تم بقرار سياسي من الجبهة. في المناسبة كان وديع حداد موجوداً في منطقة خطف الطائرات لكنه غادر المكان قبل أيلول بأيام معدودة الى مكان آخر وتسلم الرهائن عقيد مصري اسمه ابراهيم الدخاخنة (سامي).

خلاف مع وديع حداد

‹ ألا تعتقد ان عمليات خطف الطائرات أضرت بالقضية الفلسطينية ورسمت لكم صورة ارهابية في العقل الغربي؟

– الهدف الأساسي من خطف الطائرات هو محاولتنا إبراز القضية الفلسطينية لدى الرأي العام الغربي، لأن القضية الفلسطينية، خلال فترة ليست بالقصيرة، لم تكن واردة او معروفة بشكل واضح للغرب عموماً، وذلك بحكم سيطرة الحركة الصهيونية على وسائل الاعلام الغربية. وكان لا بد من كسر هذا الاحتكار عبر لفت الانظار الى القضية الفلسطينية. وهذا موضوع قديم أذكر ان بعض اساتذتنا في الجامعة الاميركية لفتوا انتباهنا اليه وطالبونا بعمل شيء لتنبيه الرأي العام الغربي، خصوصاً داخل الولايات المتحدة الاميركية. وفكرنا نحن في أشياء كثيرة وكان من ضمنها موضوع خطف الطائرات. كنا مدركين منذ البداية ان عمليات خطف الطائرات لا تشكل عنوان مواجهة مع اسرائيل وأداة ضغط على الغرب بل وسيلة إبراز القضية الفلسطينية، لذلك عندما استنفدت هذه الوسائل أغراضها وأدت وظيفتها، قررنا وقف هذا النمط من العمليات. وكان هذا القرار الذي اتخذ في المؤتمر الوطني الثالث للجبهة موضع خلاف مع رفيقنا وديع حداد الذي استمر في هذا النهج بعد ذلك.

‹ هل يمكن ان نسأل كيف اقتحم جورج حبش عالم السياسة ومعترك النضال؟ ومن أين كانت البدايات؟

– حتى اكون صادقاً معك ومع نفسي فانني قبل نكبة العام ١٩٤٨ كنت أعيش حياة عادية جداً، ولم تكن السياسة تشكل لي هاجساً خاصاً اذ لم أكن منخرطاً في اي تنظيم سياسي. وكنت قبل النكبة أقوم بدوري بحدود دور اي انسان وطني عادي، يحس ويعيش الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني على يد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية من قتل وتدمير واستيلاء على الأرض. وحتى تاريخ النكبة لم أقم بأي دور مميز على صعيد العمل النضالي. ومع حدوث النكبة بدأ التحول الحاد في حياتي باتجاه العمل الوطني والقومي. هذه هي البداية وتلك كانت البوابة التي دخلت منها معترك السياسة. تم ذلك كله تحت ضغط الاجواء العامة التي ولدتها النكبة وتشريد الشعب الفلسطيني وهزيمة الجيوش العربية، فالاجواء التي كانت سائدة في الوطن العربي عموماً وفي فلسطين ولبنان خصوصاً كانت تدفع بكل انسان حر الى ضرورة التفكير في الرد على النكبة. حينها كنت لا أزال طالباً في الجامعة الاميركية في بيروت حيث كان الجو العام في لبنان كله وفي الجامعة الاميركية خصوصاً وداخل المدارس، مشحوناً جداً وأكثر مما نتصور. في هذه المرحلة التحقت بجمعية «العروة الوثقى»، وكانت هذه الجمعية ذات نشاط قومي فعّال على الصعيد الاعلامي والثقافي، خصوصاً على صعيد الندوات العامة التي كان يحاضر فيها كثير من المفكرين والأدباء العرب حيث تركز النقاش في تلك الفترة، سواء داخل أروقة الجمعية او خارجها، على اسباب هزيمة الجيوش العربية وكيفية ضياع فلسطين والسبيل الى استردادها. وأعتقد بأن أهم الاجابات وأكثرها موضوعية وعلمية قدمها الدكتور قسطنطين زريق في كتابه الشهير تحت عنوان «معنى النكبة»، وكذلك الكتاب الذي أصدره ساطع الحصري وتناول فيه اسباب هزيمة الجيوش العربية السبعة أمام العصابات الصهيونية. والتي يمكن تكثيفها بالخلاصة الآتية: ان تفتت العرب وانقسامهم، وغياب وحدتهم كانت العامل الرئيسي وراء خسارتهم المعركة امام العدو. وقد تعرفت الى ندوات الجمعية الى الأخ الكبير المرحوم كمال جنبلاط، كما تعرفت الى شاعرنا العظيم عمر ابو ريشة الذي ألقى في احدى ندوات الجمعية قصيدة عصماء ألهبت مشاعر الحضور. وفي هذه الفترة كان يدور حوار فعّال داخل اسوار الجامعة بين الاتجاه القومي والاتجاه الشيوعي. وكان الخلاف يتركز على شرعية قرار تقسيم فلسطين والاعتراف به، حيث كان الشيوعيون يدافعون عن قرار التقسيم نظراً الى موقف الاتحاد السوفياتي المؤيد للقرار. وكنا نرى في موقف الشيوعيين تبعية مطلقة للاتحاد السوفياتي. كذلك كانت الانتخابات داخل الجمعية تدور بين الاتجاه القومي – ومن ضمنه البعثيون – والتيار الشيوعي، وكان الرأي العام يميل الى مصلحة القوميين، وبالتالي فإن نتيجة الانتخابات كانت لمصلحة التيار القومي، وقد ترشحت كنائب لرئيس الجمعية وفزت. وفي العام التالي ترشحت لمنصب رئيس الجمعية وفزت به.

‹ في أي عام خضت الانتخابات للمرة الأولى؟

– خضت الانتخابات للمرة الأولى سنة ١٩٤٩، وكذلك في الأعوام ٥٠ و٥١ ولم يكن نشاطنا مقتصراً على الجامعة بل تعدى اسوارها الى المحيط، وبالذات في المخيمات الفلسطينية في لبنان حيث كانت الاجواء السياسية مشحونة والناس تريد فعل اي شيء للرد على الهزيمة. وباشرنا الاتصال بالناس. ومن خلال هذه الزيارات التي كنت أقوم بها أنا والشهيد وديع حداد تعرفنا الى الرفيق أبو ماهر اليماني، والرفيق المرحوم أبو عدنان قيس (عضو المكتب السياسي للجبهة الديموقراطية لاحقا). بعد ذلك بدأنا بإجراء اتصالات مع القوى السياسية السائدة آنذاك، ولا سيما منها حزب «النداء القومي» وكذلك مع حزب «البعث» الذي كانت تربطنا به علاقات جيدة. جملة هذه الاتصالات طرحت علينا جميعاً السؤال التاريخي الكبير «ما العمل؟» وماذا علينا ان نفعل من أجل فلسطين؟ اتصلنا بحزب البعث وعقدنا حوارات جدية مع الرفاق البعثيين ومن بينهم ميشيل عفلق، وهم رفاق موضع احترام وتقدير، الا ان محصلة الحوارات والنقاشات أظهرت ان هناك خلافات تمحورت حول قضيتين جذريتين: أولى هذه القضايا مركزية القضية الفلسطينية، وضرورة التركيز على فلسطين باعتبارها القضية المركزية ومحوراً للنضال القومي، فيما كان حزب البعث يركز على قضايا التحرر الوطني، من دون ان يعني ذلك ان البعث لم يكن يأخذ القضية الفلسطينية في الاعتبار بل كان يدرجها في جدول مهماته، لكنها لم تكن تحظى بالأولوية. وثاني هذه القضايا التي كانت مثار خلاف مع البعثيين، موضوع الاشتراكية التي شكلت ركيزة اساسية في نضال البعث، حيث كنا نرى ان طرح هذه القضايا لا يزال مبكراً، وأن التركيز على القضايا القومية يجب ان يأخذ المكانة الرئيسية بعد القضية الفلسطينية.

‹ في تلك المرحلة كانت حركة «الاخوان المسلمين» احدى القوى الرئيسية الفاعلة في المجتمع العربي عموماً وفي مصر خصوصاً، ما هي نظرتكم الى هذه الحركة في تلك الفترة؟ وهل كانت بينكم وبينها اي حوارات، سواء في لبنان أم في الأردن؟

– في لبنان لم يكن بيننا وبين حركة الاخوان المسلمين اي حوار او نقاش، اما في الأردن فكانت العلاقات بيننا في تلك الفترة علاقات عدائية، لأن موضوع التحرر الوطني كان طاغياً على كل الساحات العربية ومن ضمنها الأردن، والحركة لها موقف، والاخوان لهم موقف آخر مغاير بحكم طبيعة علاقاتهم وتحالفاتهم. اما في مصر، فلم يكن لنا وجود في مرحلة التأسيس، وبعد ذلك كانت العلاقة مع عبدالناصر والصراع بين عبدالناصر والاخوان هما اللذان يحكمان العلاقة بيننا.

نواة حركة «القوميين العرب»

‹ في المرحلة التي شهدت الحوار والخلاف مع البعث هل كانت حركة القوميين العرب قد شكلت؟

– في هذه المرحلة شكلنا نواة حركة «القوميين العرب». شكلت من ثمانية اشخاص أذكر منهم: وديع حداد وهاني الهندي وأحمد الخطيب وأنا، أما الاسماء الأربعة الاخرى فاعتقد انهم يفضلون عدم ذكر اسمائهم في هذه المرحلة. شكلنا هذه النواة وقررنا تالياً تاسيس التنظيم. حينها تساءلنا في البداية: ما هي شعارات هذا التنظيم، وكان الجواب: «وحدة، تحرر، ثأر». وكان شعار الثأر يشير بشكل اساسي الى عملية تحرير فلسطين. وبعدما بلورنا شعاراتنا التي كانت تعكس مضمون برنامجنا السياسي، برزت حركة جدل في اوساط الاطار المحيط بحركة القوميين العرب، تكثفت بالسؤال الآتي: لماذا لا نلتحق بحزب البعث؟ وفي ضوء ذلك التحق فريق من المحيط المتعاطف مع الحركة بحزب البعث، فيما بقي فريق آخر ملتحماً مع الحركة. وهنا أود لفت النظر الى مسألة في غاية الاهمية، وكانت تشكل لنا في حركة القوميين العرب ركيزة اساسية في رؤيتنا البرنامجية، وهي اننا كنا نرى في التلازم الجدلي بين تحرير فلسطين والوحدة العربية بعداً مهماً وضرورياً لا غنى عنه، لأننا كنا نرى في المشروع الصهيوني المندفع، مشروعاً استعمارياً توسعياً، يستهدف عموم المنطقة العربية والأمة العربية، وليس فلسطين فقط، وبالتالي ان مواجهة هذا المشروع يجب ان تتم من خلال مشروع قومي عربي يتجسد من خلال الوحدة العربية. ويكون في رأس جدول أعماله تحرير فلسطين باعتبارها جوهر الصراع وقضية العرب المركزية. ومن هنا كنا نشدد على قومية الصراع وقومية المعركة وقومية تحرير فلسطين. لكن البعث كان بعيداً نسبياً عن هذا الفهم الواضح. وأجزم بالقول ان تأكيدنا عملية الربط بين الوحدة العربية وتحرير فلسطين شكلت الأساس الذي خلف امتدادات جماهيرية كبيرة وواسعة من حولنا، أوصلتنا بعد خمس او ست سنوات الى ان نكون احدى قوى حركات التحرر الرئيسية في المنطقة العربية.

‹ عندما توضحت اتجاهاتكم القومية، بأي المفكرين كنتم متأثرين؟

– من أبرز المفكرين القوميين الذين تأثرنا بهم قسطنطين زريق، وساطع الحصري.

‹ هل تأثرتم بفكر ميشيل عفلق؟

– كنت أحب ميشيل عفلق وأقرأ كتاباته، لكنني كنت أتساءل: لماذا يغيب عن فكر ميشيل عفلق، وهو الكاتب والمفكر اللامع، قضية الكفاح المسلح لاسترداد فلسطين؟ اضافة الى اني لم أكن مقتنعاً في تلك الفترة بضرورة طرح شعار الاشتراكية، هذا الشعار الذي تبنته الحركة لاحقاً، اذ أصبح شعار حركة القوميين العرب «وحدة، تحرر، اشتراكية، استرداد فلسطين». أنا اعتبر ان تطور شعارات الحركة بهذا الاتجاه كان يعبر عن المسار الطبيعي لآلية هذا التطور.

‹ الا تعتقد بأن إدخال شعار الاشتراكية أتى لتقوية عمليات المنافسة والصرّاع مع حزب البعث والشيوعيين؟

– لا لم يكن الهدف من تبني الاشتراكية منافسة الشيوعيين او البعثيين وإنما كان نتاجاً طبيعياً لتطور فكرنا. كذلك لعبت الاجراءات الاقتصادية التي اتخذها عبدالناصر في مصر على صعيد عمليات التأميم وإعادة توزيع الملكية الزراعية عاملاً اساسياً في تبنينا شعار الاشتراكية الذي تبنته «ثورة يوليو» لاحقاً.

‹ عندما نضجت حال وعيكم السياسي والفكري في بداية الخمسينات هل فكرتم في الانتقال من اطار العمل في اوساط الجامعة الى الاطار الجماهيري الأوسع؟

– نعم فكرنا في ذلك جيداً، وهنا برز سؤال مهم: هل نستطيع ان نأخذ على عاتقنا موضوع تشكيل حزب سياسي؟ كان جوابنا: اذا شعرنا بأن الشعارات التي نطرحها، خصوصاً في ما يتعلق بالكفاح والتمايز ستكون موضع تطبيق ونكون قادرين على تجسيدها وتمثيلها، حينها يكون جوابنا: نعم نحن قادرون على تشكيل حزب سياسي متميز. من هنا كانت مرحلة الأردن أول ساحة اختبار لقوتنا وسلامة شعاراتنا، وبالتالي مقدرتنا على بناء حزب وتنظيم جماهيري واسع.

العيادة - «القيادة»

‹ عمان الخمسينات كانت المحطة الأهم في تاريخك وتاريخ حركة القوميين العرب، كانت العيادة وكان وديع حداد وكان الاختفاء، والأهم كانت تجربة بناء حركة القوميين العرب، كيف تنظر الى هذه التجربة اليوم وأهم المحطات فيها؟

– بعد انتقالي الى عمان بستة أشهر عاد الرفيق وديع حداد الى عمان، وكنت تخرجت قبله بسنة. حينها قرر والدي ان يفتح لي عيادة في عمان، وكان والدي انساناً

ميسور الحال يحبني كثيراً وأطلق لاحقاً على العيادة اسم «القيادة» لأنها كانت بمثابة غرفة عمليات لقيادة العمل الشعبي والجماهيري في الأردن. وهذه العيادة كانت تقع في شارع الملك طلال وقد بدأت العمل أنا والدكتور وديع حداد في العيادة بأجور رمزية جداً كنا نوظفها لسد بعض مصروفات الحركة. وفي تلك المرحلة كان الدكتور أحمد الخطيب عاد الى الكويت. وكان يتقاضى راتباً مقداره مئة دينار كويتي يحول منها تسعين ديناراً شهرياً كمصروفات للحركة. بدأت أنا والرفيق وديع بالدخول الى عمق العمل الجماهيري، خصوصاً وديع الذي كان دائم الحركة والفاعلية في الأوساط الشعبية، خصوصاً داخل المخيمات، حيث افتتحنا دورات محو أمية، وكذلك مستوصفاً لعلاج الجماهير. والجميع يعرف حالة الفقر التي كانت تئن تحته جماهيرنا في الأردن في ذلك الزمن. وكان لنا خط بناء آخر موازٍ للخط الجماهيري، يتمثل في بناء صلات مع الكثير من الشخصيات الوطنية في الأردن، وبالذات فئة البرجوازية الوطنية التي كان لنا بها صلات منذ أيام الجامعة الأميركية. وكان هذا بطبيعة الحال يعبر عن انفتاحنا على جميع فئات الشعب الوطنية. وعند اعادة قراءة تجربتنا في الأردن أستطيع القول بأمانة باننا تمكنا خلال ثلاث سنوات من العمل الدؤوب والجاد، ان نوازي في قوتنا أحزاباً عريقة كحزب البعث، والحزب الشيوعي، وأصبحت حركة القوميين العرب احدى القوى الرئيسية العاملة في الأردن. خلال هذه الفترة أصدرنا صحيفة اسبوعية باسم جريدة «الرأي» التي رأس تحريرها الدكتور أحمد الطوالبه. ولعبت هذه الصحيفة دوراً مهماً جداً في التحريض على ضرورة تعريب الجيش الأردني، وطرد غلوب باشا الانكليزي رئيس هيئة أركان الجيش الأردني آنذاك. وأدى هذا بدوره الى قيام الحكومة بوقف الصحيفة.

في تلك الفترة كانت سورية تشهد حالاً من الانفراج والليبيرالية، فأصدرنا الصحيفة من سورية، وكنا نوزعها في الأردن الى ان جرت تحولات محدودة في عمان في العام ١٩٥٦ في عهد حكومة سليمان النابلسي تجسدت بانفراجات سياسية على الصعيد الوطني العام. حينها عدت الى الأردن بشكل طبيعي. وفي تلك الفترة جرت انتخابات نيابية عامة وخضنا الانتخابات بكتلة من أربعة مرشحين، ولم يحالفني الحظ في النجاح إلا اننا في حركة القوميين العرب اعتبرنا ان الأصوات التي حصلنا عليها جيدة (مع الأخذ في الاعتبار انني كنت حينها شاباً صغيراً وفي بداية تجربتي النضالية والسياسية) وانجاز معقول لحركة سياسية فتية كحركة القوميين العرب. هذا أولاً، وثانياً كنا نرغب في قياس مدى عمق صلاتنا بالناس والشعبية التي نتمتع بها. وبعد الانتخابات بعام تقريباً دخل عامل مهم أثر في طبيعة الحركة، وتمثل هذا العامل بانقلاب النظام في الأردن على حكومة سليمان النابلسي الوطنية عام ١٩٥٧. وكان لهذا الانقلاب تأثير كبير علينا، لكنه أفرز تجربة مهمة، اذ اعتقل الرفيق وديع حداد، وقررت أنا الاختفاء داخل الأردن لإعادة بناء الحركة ومواجهة المرحلة المقبلة التي كانت تتسم بالتسلط والقمع والملاحقة وكذلك البدء بممارسة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني. وكنت أثناء اختفائي أقود العمل اليومي والسياسي داخل الأردن وفلسطين بشكل رئيسي. وبقيت على هذا الحال الى ما بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية اذ غادرت الأردن الى سورية في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٩.

‹ هل كانت بنى حركة القوميين في الأقطار الأخرى ناضجة؟

– ليس في كل الأقطار العربية، ففي لبنان أكملت الحركة نضجها نسبياً، وأصبحت تنظيماً هرمياً من القيادة الى القاعدة. وكان من أبرز الشباب النشطين في تلك الفترة محسن ابراهيم، وشاب آخر على قدر كبير من الأهمية في كفاحه ونشاطه، خصوصاً في الجنوب اللبناني وهو المرحوم محمد الزيات الذي غادرنا مبكراً عن عمر يناهز ٣٢ عاماً. وللإنصاف لعب المرحوم محمد زيات دوراً مهماً في أواخر الخمسينات اذ خاض الانتخابات النيابية في مواجهة قوائم وتكتلات للعائلات التقليدية والاقطاع الجنوبي، ولا بد من ذكر دوره بوصفه أحد الأركان المهمين في قيادة الثورة العام ١٩٥٨ في لبنان ضد الرئيس كميل شمعون، هذه الثورة التي انطلقت من الجنوب اللبناني وامتدت لاحقاً الى مختلف الأراضي اللبنانية. وبالطبع كان هناك الرفيق أبو ماهر اليماني والرفيق أبو عدنان قيس والكثير من الرفاق المخلصين. أما في سورية والعراق فكان وضع الحركة أقل نضجاً وأكثر بطئاً في فاعليته من لبنان والأردن، وذلك يعود الى وجود حزب البعث في كل من سورية والعراق بشكل قومي وفعال. الا ان تجربة القوميين العرب في كل من اليمن وليبيا والبحرين تستحق التوقف أمامها.

حصار بيروت

‹ كان حصار بيروت الامتحان الأصعب للمقاومة الفلسطينية، كيف كان الحكيم يعيش يوميات الحصار؟

– بطبيعة الحال كنت في بيروت عندما بدأت المعارك وكنت أمارس مهماتي الداخلية والخارجية. وكان لدي عشية الاجتياح مشروع لتوحيد القوى الديموقراطية في الساحة الفلسطينية لمواجهة العدوان الاسرائيلي المتوقع، والمخططات المرسومة لتصفية المقاومة. ولكن حتى أكون صريحاً معك لم نكن نتوقع ان تأتي الضربة الكبرى من اسرائيل مباشرة. كنا نعتقد ان الضربة المباشرة ستقوم بها الرجعية اللبنانية ممثلة بالجبهة اللبنانية ووحدات عسكرية نظامية. وتم تشخيص ذلك في مقررات المؤتمر الرابع للجبهة. وكان في ذهني باستمرار وجود مخطط لضرب المقاومة، وكان حجم هذا المخطط قائماً على اعتبار الرجعية اللبنانية أداته بالدرجة الأولى، ثم اسرائيل التي قد تكون حدود عدوانها الجنوب اللبناني فقط.

‹ كيف تقوّم أداء المقاومة في اجتياح ١٩٨٢ بأمانة وصدق؟

– سأجيب عن سؤالك بمنتهى الصدق والمسؤولية: أداء المقاومة في مواجهة الاجتياح كان متفاوتاً. كان بائساً بمظهره الرئيسي في الجنوب وأقصد صور وصيدا، على رغم المواقف المشرفة التي شكلت مظهراً ثانوياً في بعض المواقع مثل النبطية وقلعة الشقيف وأرنون، وخاض خلالها المقاتل الفلسطيني قتالاً بطولياً ومشرفاً، وكان مثالاً للتضحية والتفاني. لو كانت المقاومة في الجنوب منظمة لتغيرت النتائج بعض الشيء، ولما تشجعت القيادة الاسرائيلية على الاندفاع وتوسيع رقعة الاجتياح باتجاه بيروت والجبل. وعندما اتضح المخطط الاسرائيلي وحجمه كنت على يقين انه لا يمكن ان يصمد في مواجهة هذا المخطط إلا إرادة جبارة بكل معنى الكلمة. ولم يكن في ذهني غير قرار الصمود وتحويل بيروت الى ستالينغراد ثانية في مواجهة الغزاة. وفي أول اجتماع للقيادة الفلسطينية عقدناه في منتصف حزيران (يونيو) قلت: نحن صامدون ومن يريد الصمود فليبق ويقاتل، وكانت الغالبية منسجمة مع هذا الرأي. خلال حصار بيروت كان أداء الثورة الفلسطينية في القتال أكثر تنظيماً، وقدم المقاتل الفلسطيني على مدار ٨٦ يوماً من الحصار مثلاً رائعاً. دافع المقاتلون عن بيروت المحاصرة دفاعاً مستميتاً في ظل صمت عربي رسمي وهجوم اسرائيلي اطلسي مركز وكثيف، وعلى رغم قرار الخروج الذي حكمته جملة اعتبارات لبنانية داخلية وعربية واقليمية، شكلت معركة بيروت صفحة مشرفة في تاريخ الثورة الفلسطينية والأمة العربية، ولا يمكن لأي قائد فلسطيني ان يتجاهل التضحيات الكبيرة والجسيمة التي دفعها الشعبان الفلسطيني واللبناني ثمناً لهذا الصمود.

‹ أثناء فترة الحصار هل تعرضتم لضغوط من الحركة الوطنية اللبنانية، للخروج من بيروت؟

– في البداية كان قرار الجميع الصمود، ولكن مع مرور الوقت واشتداد الحصار، وتطبيق اسرائيل سياسة الأرض المحروقة، وشل كل مرافق الحياة بدأنا جميعاً نقوّم المرحلة وندرس امكان الصمود ومدى نجاعته. وعلى اثر تقويمنا المشترك بدأت أقتنع بأن لا ضرورة للعناد والدخول في مواجهة انتحارية، خصوصاً ان الموضوع لم يعد موضوع المقاومة والحركة الوطنية، بل اصبح موضوع الجماهير اللبنانية وشعاره تجنيبها المزيد من الضربات والخسائر، لأنني بت مدركاً ان شعار تحويل بيروت الى ستالينغراد أخرى مستحيل.

‹ عندما كان أبو عمار يفاوض فيليب حبيب عبر الرئيس شفيق الوزان وبعض الشخصيات اللبنانية هل كان يطلعكم على تفاصيل هذه المفاوضات؟

– لم يكن يطلعنا على تفاصيل مفاوضاته بالكامل مع فيليب حبيب، لذلك عليك ان تسمع ثم تقوم أنت باستنتاج ما يريده أو ما يعرفه.

‹ قرار الخروج من بيروت، كيف تبلور؟ من اتخذه؟ ومن عارضه؟

– الغالبية الساحقة من قيادة المقاومة شاركت في اتخاذ قرار الخروج وأنا واحد منهم.

‹ ولكن كيف تبلور قرار الخروج؟

– الواقع ذاته هو الذي بلور قرار الخروج من بيروت، خصوصاً بعد اشتداد الحصار إذ أصبح لا بد من أخذ حال الجماهير اللبنانية في الاعتبار، وكذلك موقف الحركة الوطنية اللبنانية.

‹ ومن عارض قرار الخروج من بيروت؟

– اعتقد ان هناك بعض القيادات التي عارضت الخروج سواء داخل منظمة التحرير أو داخل كل فصيل، وعلى صعيد الجبهة كان الرفيق ابو ماهر اليماني من معارضي الخروج، اضافة الى خمسة اعضاء من اللجنة المركزية للجبهة.

‹ ماذا عن علاقتكم في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» بكارلوس، وهل تعرفونه جيداً؟

– كارلوس مناضل ثوري وأممي، وبحكم انتمائه للفكر الثوري، جاء وتطوع للنضال الى جانب الشعب الفلسطيني وانتمى الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ونحن في الجبهة الشعبية وفي الثورة الفلسطينية، كنا على الدوام نستقبل بكل ترحاب، كل أممي يأتي للانضمام الى ثورتنا ومناصرة قضيتنا، وكارلوس واحد من هؤلاء المناضلين. وشعبنا الفلسطيني الذي ضحى وناضل ولا يزال في سبيل حريته واستقلاله يدرك معنى الانتماء والتضحية، ولن ينسى كل من ناضل وضحى الى جانبه في نضاله المشروع، بل سيبقى حافظاً لهذا الجميل من دون أن يأبه لتشويهات الأعداء، لأن نضاله الذي حفظته له شرعة الأمم المتحدة يعتبر بنظرهم إرهاباً، بينما اسرائيل التي تمارس الإرهاب الرسمي على مستوى الدولة هي الضحية! ان تزوير حقائق التاريخ ليس بالأمر الهين أو السهل وان انطلى هذا التزوير لفترة فهو لن يدوم، وحديثهم عن الارهاب لن يضيرنا أو يخيفنا، بل سيجعلنا اكثر تصميماً على مواصلة النضال والتمسك بقيمنا الثورية والوطنية العادلة التي يحاول الغرب الرأسمالي تشويهها واعتبارها قيماً ماضوية طواها الزمن. معرفتي الشخصية بكارلوس معرفة عابرة، وعلاقته المباشرة كانت مع الرفيق الشهيد وديع حداد الذي كان مسؤولاً عن العمليات الخارجية في الجبهة.

قالوا في جورج حبش

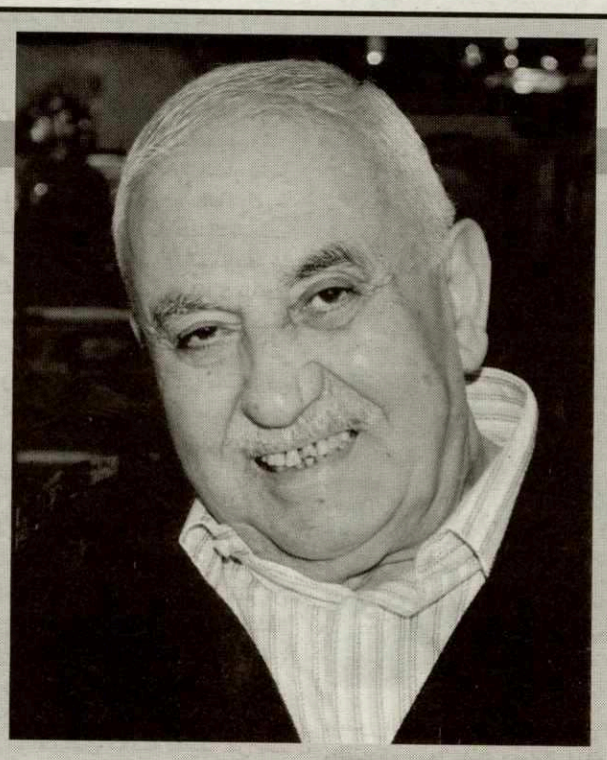

قبل دقائق سلموني هذه الزهرة الحمراء والزهرة الحمراء تذكرني بشيئ حدث معي قبل عشرة أعوام ، عندما كنت في زيارة دمشق الفيحاء وكان هنالك لقاء مع المناضل الكبير جورج حبش ..بعد ان انتهى لقاؤنا قال لي أريدك ان تاخذ مني هذه الزهرة الحمراء وتضعها على أطلال بيتي في مدينة اللد وهذا ماقمت به بعد عودتي الى أرض الوطن ووضعت زهرة حمراء في مدينة اللد باسم جورج حبش فوق أطلال منزله هناك .

المطران عطا الله حنا

.....

لقد أتيحت لي فرص طويلة وعديدة بعد تلك الفترة المحزنة من تاريخ بلادنا لكي التقي به، وأن أسمع آراءه في كثير من القضايا، وأدرك مدى ما كان يتمتع به من إخلاص لقضايا أمته في كل مكان، ومدى ما كان يحمله من يقين بما لا يخالطه شك، في أن تحرير فلسطين يتوقف على تحرير إرادة الأمة، فالاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ليس محنة لهذا الجزء من الوطن العربي فحسب، وإنما هو امتحان ومحنة للأمة في كل أقطارها، والذين كانوا يدفنون رؤوسهم في الرمال أدركوا هذه الحقيقة في أبشع صورة لها بعد حرب حزيران ١٩٦٧م.

الشاعر عبد العزيز المقالح/ اليمن

.....

امتلك فقيدنا هيبة نضال (كاريزما) تعززت بمرور الوقت بفعل سجل حبش النضالي الحافل، حتي غدا هذا القائد محط اجماع وطنيا فلسطينيا،وحتي من خاصموه في الفكر أو الممارسة، لم يملكوا إلا أن يسلموا بطهارته الثورية، واخلاصه الوطني والقومي والأممي وهو الذي لم تاخذه العزة بالفكر فقرر الانتقال من الفكر القومي المطلق إلي الماركسية اللينينة،دون أن يفقد هويته وانتماءه،المتمثل في الوطن العربي والأمة العربية عوضنا الله في هذا القائد الجسور .

عبدالقادر ياسين
باحث فلسطيني مقيم في القاهرة

.....

كنت أسمع أن حبش وحداد عقدا اجتماعات في منزل جدّي في مدينة صور، وكانت الفكرة ساحرة لي. كنت أسمع أن حبش جلس على هذا الكرسي يوماً ما، وأن حدّاد غادر غاضباً من ذاك الباب يوماً آخر. وكنت أسأل باهتمام عن حبش. بدا مختلفاً في الصحافة. كانت الصحافة، حتى اليمينية منها مثل جريدة «النهار»، تتعامل معه باحترام شديد. هو لم يعشق صورته ولا صوته، ولا كان يتدرّب على الخطابة أمام المرآة. بدا طبيعياً، حتى تحت الأضواء، وقد تجنّبها. لم تستهوه، وما قام به من مقابلات صحافية كان من باب الواجب، وأحياناً كثيرة بإصرار من القيّمين على الاعلام في الجبهة.

اسعد ابو خليل
متقف لبناني

.....

الحكيم جورج لم يغدر برفاقه، ولا رشاهم بالمناصب، ولا أغدق عليهم المال، فهو لم يكن يتدخّل في الشؤون الماليّة نافحا هذا امتيازات ليكسر عينه، ويستتبعه، مشتريا ذمّة ذاك ليضعه تحت إبطه! عاش متواضعا، أقرب إلى المتصوّف، منسجما مع فكره، ومع المثل التي حرص على زرعها في نفوس رفاقه، إن في حركة القوميين العرب، أو في صفوف الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين.

رشاد ابو شاور
كاتب فلسطيني

.....

لا شك إن ذكرى نضالات هذا الفلسطيني الهصور ستبقى ذخيرة حية لشعوب العالم المستضعفة في كفاحها لأجل الحرية والإشتراكية والوحدة والسلام العادل، وسيبقى خطابه الذي ألقاه سنة ١٩٧٠ في ملتقى الفكر العربي في الخرطوم حول موضوع العلاقة بين الدولة والثورة وخلاف الشيوعيين والقوميين منارة إسكندرية في تحليل القوميين للحركة الشيوعية ومنارة للفكر الماركسي اللينيني في تحليل المواقف القومية، ومنارة للإثنين في تقدير طبيعة التحولات الصغرى وآثارها العظيمة. لكن الآن ماذا يقال لعزاء أمة أنجبت هذا النضال: سوى: هذا الحكيم محمولاً في نعشه ..... قومي انظري كيف تسير الجبال. فللحكيم ورفاقه الإجلال والمجد ولشعبه ولشعبنا شرف موقفه النضير ....

المنصور جعفر (الحزب الشيوعي السوداني)

.....

لقد كانت معارضته قاسية ولم ترتد يوماً قفازات مخملية، لكنها في نقطة ما من مسارها كانت تستدير لملاقاة شروط تجديد الوحدة الوطنية في إطار منظمة التحرير وتحت رايتها.. في فكر فقيدنا الكبير إنحكمت جدلية اللقاء والإفتراق إلى سقف الوحدة، فهي المرجعية والإطار بقواسمها المشتركة وتسوياتها،

نعم تسوياتها وتنازلاتها المتبادلة.. ولعل هذا ما نحن أحوج ما نكون إليه في الظرف الصعب الذي تجتازه مسيرتنا الوطنية..

فهد سليمان
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

.....

إن رحيل الرفيق الكبير جورج حبش هو رحيل أحد رفاق الدّرب مهما كانت اشكال إختياراتنا في منطلق حياتنا لأن الطريق الطويلة للكفاح أثبتت أن هذه الإختيارات تشترك في نفس المنبع وتحركها نفس الدوافع النبيلة من اجل عمالنا، وشعوبنا، من أجل الإنسانية جمعاء.

إن الجرح عميق ولكن الشعلة ستبقى مرفوعة يبثها بالحياة عناد شعوبنا وعمالنا في نضالها الدائب ضد الإمبريالية، ضد الصهيونية وضد عملائها. من أجل التحرر من التبعية وضد جميع اشكال الاستغلال.

الصادق هجرس
الحزب الشيوعي الجزائري

.....

لمعرفة مدى أهمية الحكيم، علينا ان ننظر كيف تعاملت إسرائيل معه، وكيف نظرت إليه. فقد كتب مركز أبحاث إسرائيلي، قبل عشرات السنين: ان جورج حبش لو لم يكن مسيحياً، ولو لم يكن ماركسياً، لاحتل مكانة في العالم العربي، لا تقل عن المكانة التي نالها جمال عبد الناصر، وذلك للصفات القيادية العديدة التي يملكها، وأنا أقول ان جورج حبش ورغم كونه مسيحياً وماركسياً، إلا أنه نال مكانة كبيرة جداً في فلسطين والوطن العربي.

هاني المصري
كاتب فلسطيني

.....

ما أكثر السياسيين الذين كسبوا رهانهم فاتى عليهم الدهر بالنسيان. وما أكثر الذين حفروا في ذاكراتهم أسماء الأنبياء والأولياء والأبطال التاريخيين الذين قضوا ولم يعاينوا ثمرات نبوءتهم أو نضالهم. لم يترك الأولون ما به يذكرون على فالح فعلهم لكن الأخيرين بذروا في النفس معنى لا يزول وارتفعت قاماتهم عن حدود البشري والواقعي.

هذا ليس نصاً في هجاء السياسيين، ولا هو نص في مديح الأبطال والأنبياء والمرسلين. إنه أقرب ما يكون إلى البوح والاعتراف: البوح بشعور إنساني تجاه فقدان معنى رفيع من معاني السياسة في تاريخنا العربي المعاصر، والاعتراف لمن أخذ معه ذلك المعنى وهو يرحل عنا بالجميل التاريخي الذي يليق بأي شريف على هذه الأرض أن يعترف لصاحبه به. وصاحبه جورج حبش: الرجل الذي يكفيك اسمه كي تعرف من هو. إنه الفكرة والقضية والثورة في صورة رجل اختصر المعاني كلها وارتفع عن حدود المحسوس والمألوف.

عبد الاله بلقزيز / المغرب

.....

أغمض الحكيم عينيه اغماضتهما الأخيرة مودعا فلسطين الضفة وغزة والشتات.. ملوحا بيد الوداع لكل عربي فكر يوما بتحرير هذه الأمة من الاستعمار والفقر والتخلف والاستبداد.. تاركا رؤيا للخلاص الكلي.. تاركا كتبا... هي كالشموع في مستنقع الظلام العربي.. تاركا تنظيما لا يشق له غبار...

غادرتنا يا حكيم في الزمن السيئ، فهل قلبك ما عاد يحتمل الاستمرار في الخفقان وسط كل هذه القلوب الميتة؟ جثة هامدة أصبح عالمنا العربي...

الاستبداد والقمع أصبحا هما الديمقراطية. والباحث عن الحرية إرهابي ومخرب...

الأصولية والتخلف والإرهاب الفكري صاروا البديل والحل. والمنادي بفصل الدين عن الدولة كافر..

صار المدافع عن الفقراء والكادحين والجوعى جاهل بعلم الاقتصاد والعولمة والخصخصة.

صار الاحتلال واقعا ومطلوبا لدى البعض. ومن يرفضه ويقاومه مغامر وفاشل.

صار الزمن أسوا.. والاسوا من ذلك قادم..

لكن من عرف جورج حبش وقرأه يعلم بأنه لم يتركنا نواجه القادم الاسوا بلا رؤيا....

نبيه الحلبي/ الجولان المحتل

.....

هو واضح للغاية في تحديد هدفه، ويمقت الحذلقة والمساومات، وهو يعيش هموم شعبه عن قرب، ولا يعرف الفواصل والحواجز عن الآخرين حتى عند ضرورات الحماية الأمنية للذات؛ من أجل الكل والقضية العادلة. وأقول اليوم وأنا على ثقة تامة من أن رجلاً مثل الفقيد جورج حبش لا ينتهي دوره بمغادرة هذه الدنيا جسدياً، إنه يظل ملهما لكل الطامحين الى العدل والحرية، والى إقامة العلاقات المثمرة والصادقة والبعيدة عن الأنانية والمصالح الضيقة بين كل الثوريين أفراداً وجماعات.

آرا خاجادور/ العراق

.....

مثل كل الثوار والقادة الكبار، رحل القائد جورج حبش دون أن يتراجع قيد أنملة عن كل ما آمن به وناضل من أجله، رحل جسداً، ولكن مبادئه وأفكاره التحررية والإنسانية لم، ولن ترحل، لأن ثائراً بحجم «حكيم الثورة الفلسطينية» لا يموت، بل يبقى خالداً في وجدان كل الثوار والأحرار على امتداد المعمورة، وبالأخص في شرقنا المناضل.. لقد كان الراحل الكبير ومنذ أكثر من خمسين عاما أحد أبرز رواد النضال التحرري، وقائداً ميدانياً في الكفاح الوطني والطبقي ضد الاستعمار.. ضد الاحتلال الصهيوني والإمبريالية العالمية وعلى رأسها الامبريالية الأمريكية. وحتى رمقه الأخير ظل فقيد حركة التحرر العربية والعالمية الدكتور جورج حبش مخلصا لما آمن به، فأوصى بالتمسك بخيار المقاومة الشاملة وتعزيز الوحدة الفلسطينية ورفض الاستسلام أو المساومة على الحقوق الوطنية الثابتة لشعبه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس. إن الوفاء لمبادئ الراحل الكبير يتجلى بمواجهة المشاريع الامبريالية الأمريكية . الصهيونية على الساحتين الإقليمية والدولية عبر خيار المقاومة الشاملة وتعزيز التضامن الكفاحي بين شعوب هذا الشرق العظيم ضد عدوهم المشترك.

اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين

.....

ويكفي جورج حبش فخراً، أنه كان من القادة النادرين في تاريخنا السياسي والحزبي، الرسمي والشعبي، الذي تنازل طوعاً عن موقعه إيماناً منه بالتداول، بل يكفيه فخراً كذلك أن أحد خليفتيه في الأمانة العامة للجبهة الشعبية (أبو علي مصطفى) قد استشهد على يد الاحتلال الصهيوني، وأن خليفته الآخر (أحمد سعدات)، ما زال معتقلاً منذ سنوات في سجون المحتلين.

قد يغيب وجه جورج حبش عن أبناء فلسطين والأمة، عن أحرار العالم المنتشرين من اليابان حتى أمريكا اللاتينية، لكن أحداً لن يستطيع أن يغيّب صورة حبش المناضل والمعلّم والقائد عن ذاكرة فلسطين والأمة.

معن بشور/ لبنان

.....

لقد تربى على يد الراحل جورج حبش أجيال من المناضلين العرب الذين يسجلون له وللجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بكثير من الامتنان وقوفه إلى جانب قضاياهم الوطنية رغم الصعوبات التي كانت تتسم بها الحقب النضالية التي مرت بها الأمة العربية. كما ترك الحكيم تراثا نضاليا مهما يمكن استثماره وتفعيله في سبيل خلق معطيات جديدة للأمة العربية في طريقها للتقدم وتحقيق أهدافها النبيلة. فقد امضي الحكيم حياته قائدا مدافعا صلبا عن حقوق الإنسان الفلسطيني والعربي، وقدم تضحيات كبيرة في مختلف مراحل حياته النضالية في الأردن وبيروت ودمشق وغيرها من العواصم العربية والأجنبية، وتمكن من إشاعة سلوكيات المناضلين الحقيقيين بين رفاقه وأنصاره في أوساط حركة التحرر العربية.

جمعية العمل الوطني الديمقراطي (وعد) / البحرين

.....

رحل جورج حبش بالأمس، ولا شك في أن شعب فلسطين سيفتقد هذا المناضل الصلب العنيد لأجيال وأجيال، وسيتحول اسمه مع الزمن الى أسطورة تتحدث عن شبيه له سيظهر وسيتابع النضال حتى تتحرر فلسطين وتسترد القدس.

شفيق الحوت
قائد فلسطيني - لبنان

.....

لقد كان حبش نموذجاً للثوري الحقيقي ، فقد قدم لنا اجابات عن الكثير من الاسئلة التي حيرتنا ومنها كيف يمكن لشعب اعزل ،بدون سلاح مواجهة جيش مدجج بالسلاح ، تؤيده القوى الاستعمارية ، واجاب حبش بان الكفاح المسلح هو الحل الجذري لمواجهة هذا الواقع شديد التداخل والتعقيد .

احمد بهاء الدين شعبان/ مصر

.....

ندرك ان غياب المناضل جورج حبش لا يمثل خسارة للقضية الفلسطسنسنة فحسب بل هو مصاب جلل لكل حركة التحرر والتقدم في العالم ، في وقت تبدو فيه الانسانية أحوج ما تكون لزعماء من طينة الحكيم حتى يقودوا نضالها ضد الاستعمار والاستغلال والعولمة المتوحشة.

حزب الوحدة الشعبية التونسي

.....

وبرحيل الرمز الحكيم جورج حبش يكون الشعب الفلسطيني قد فقد شخصية لها كرزيما خاصة، حيث استطاع من خلالها أن يواكب بين القائد والرمز والإنسان المفعم بالحب للجميع كما حبه لوطنه فلسطين. على مدار ريادته للجبهة الشعبية كان الراحل جورج حبش وحدوياً وغير إقصائي، وكان كذلك حين حصول الأزمات داخل الجبهة العريضة وهنا أقصد منظمة التحرير الفلسطينية التي كان يعتبرها على الدوام الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ذلك رغم مواقفه المعارضة لاتفاقات اوسلو المعقودة في أيلول من عام ١٩٩٣، وعلى مدى ستة عقود خلت من الصراع (١٩٤٨-٢٠٠٨) لم تفارق الراحل الحكيم هواجس الانتصار والعودة بالاعتماد على الأجيال الفلسطينية والعربية الواعدة.

نبيل محمود السهلي
كاتب فلسطيني- دمشق

.....

أخي ورفيقي، حين ننعتك بالقائد التاريخي، فليست هذه مجاملة لموتك، بل إنه الاعتراف الواجب بدور شاب في مقتبل العمر يدرس الطب ويؤسس لحركة القوميين العرب، ثم يمارس الطب والكفاح ويؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في ظرف صعب آخر من ظروف شعبنا الصعبة كلها... لأن المقاومة المشروعة هي في عرف الاحتلال ضرب من ضروب الإرهاب فقد عرفك المحتلون بالإرهابي، دون أدنى احترام إنساني لمشيئة إنسان شرد عن مسقط رأسه على أرض اللد والرملة، ليشيّد الغزاة على أرضه مطارا..

الشاعر الفلسطيني سميح القاسم

.....

يا أبي....

أقبل قلبك، وأطمئنك باننا مستمرون في العناد وركب الرأس، فمثلك هم ذاكرتنا حين تخوننا الذاكرة.. أنت دمنا يا رفيق.. يشدنا إليك رباط الرغيف والحرية والحلم. فلسطين التي من أجلها جعنا، وعرينا، وحلمنا، وغنينا، وجرحنا واعتقلنا، سيكون الغد الآتي لها.

يا أبي.. أنا لا أرثيك.. لكنني أودعك الان بالزغاريد ونثر الأرز ودموع الرجال..

يا أبي..

سلم لنا على غسان وأبو علي ووديع حداد وأبو احمد زعتر ورفيق دربك جورج حاوي، وأبلغهم أننا في غيابهم ازددنا إيماناً باننا وحدناً ورثة هذا الوطن، نضم زيتونته إلى الصدر الفسيح رغم ضيق الطريق.

د. وليم نصار
كاتب فلسطيني

.....

اذكر انني التقيت وأنا عائد من لقائه في منطقة الجامعة العربية، ذات يوم من أوساط السبعينيات، الشاعر الكبير محمود درويش، فسألني باسلوبه المميز: هل ما زال الحكيم يستوطن البديهية؟ ولم يكن بحاجة إلى جوابي للتصديق على حكمه.. الثقافي.

وأعرف أن كثيراً من أهل الرأي ورجال السياسة كانوا يعودون من اللقاء مع "الحكيم" آخذين عليه تمسكه بالمواقف المبدئية المجافية لضرورات السياسة، وكان جورج حبش يستغرب اعتراضهم، ويفترض- صادقاً- أنهم مخطئون، وأن التجربة- لا سيما في مواجهة إسرائيل، ومن يتهاون في حربها- ستكشف لهم مدى غلطهم، محذراً من "أنك إن لم تواجه العدو فإنه سيأتيك في قلب دارك".

طلال سلمان
رئيس تحرير جريدة السفير -لبنان

.....

واخيراً بوجع امتد أكثر من ثمانين عاماً رحل القائد الفلسطيني الكبير جورج حبش..

هو الذي نجا من فخاخ الموت كثيراً، كان مشغولاً في إحضار المنفى من الغياب، عدّل واقع الهزيمة وغير الألوان.. جعل للجسد مكاناً واسماً وهوية ورائحة وصورة لا تذريها الرياح، أو ترميها في المؤقت والوصايات وفراغ العبارات.

كان رجلاً صعباً لا يتوه في وهم المترادفات.. يجيد التحولات من الفكرة إلى الصرخة، ومن حزن الخيمة البائسة إلى نار البنادق وبرتقال الحقول.

ودائماً كان له خريطة سياسية بتمرد على املاءات الأساطير، يتخذ شكل الضوء إذا حل الظلام، وشكل الشجرة إذا لاحت في المساء الغيوم.

عيسى قراقع
نائب في المجلس التشريعي

.....

أتقدم لكم جميعا ولأمتنا العربية كلها بأخلص آيات التعازي في الصديق العزيز الكريم المناضل المقاوم الشريف النقي المرحوم الدكتور جورج حبش – الحكيم – طيب الله ثراه ورحمه رحمة واسعة وألهم آله وأسرته وأمتنا العربية الصبر والسلوان.

لقد ثابر وأصر وناضل دون كلل وبنفس طويل من أجل التحرير والحق لفلسطين الحبيبة قضيتنا المركزية التي سوف تتحرر في النهاية من نير الاستعمار الصهيوني الاستيطاني.

فلنستمر على نفس الدرب الذي سار عليه الحكيم وكل القادة العرب الأحرار.

سامي شرف
سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات

.....

طوبى له. فكم كان "الحكيم" الفلسطيني، جورج حبش، إعجازياً في شخصيته. رجلٌ أنشأ في سريرته، كل الضياء والصفاء والجمال، ليقتحم الدنيا بزوح الثورة، وبصلابة الوطنيين والقوميين الأشداء. كأنما هو معمار إنساني من طراز خاص.

عدلي صادق
سفير فلسطيني

.....

جورج حبش هو أحد أبرز أعلام مرحلة رائعة عاشتها حركة التحرر العربي والعالمي. ومن دون أدنى شك يمكن أن نضع اسمه مع الأسماء اللامعة في تاريخ هذه الحركة مثل جمال عبد الناصر وأحمد بن بلا وفيديل كاسترو وهوشي منة، وتشي غيفارا. وهؤلاء اعلام المرحلة النضالية الزاهية في العالم كله.

واليوم بوفاة جورج حبش تفقد الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية واحداً من أبرز اعلامها الكبار والذي ترك بصمات خالدة على حقبات طويلة من النضال العربي منذ النكبة مروراً بكل مراحل الثورة العربية وصولا إلى أصعب مراحل أزمة الأمة العربية. على الصعيد العربي كان جورج حبش الوجه الأكثر إشراقاً في الثورة الفلسطينية التي أعطاها بعدها العربي والقومي.

نجاح واكيم
رئيس حركة الشعب-لبنان

.....

وأظن أن الختيار قبل موته مسموما كان قد بدأ يعي شيئا مما أصر عليه الحكيم. كما أظن أن الحكيم أدرك القوة الهائلة لإرادة الختيار، التي كانت تريد تحقيق الدولة رغم اختلال موازين القوى . كل واحد منهما كان يرى ما لدى الآخر .

كان الرهان طوال ربع قرن رهانا بين الختيار والحكيم .

وعلى أن أعترف أن رهان الحكيم قد انتصر: لا يوجد مجال لقيام دولة فلسطينية مستقلة في ظل موازين القوى السائدة .

زكريا محمد
كاتب فلسطيني

.....

نعم يا حكيم الثورة وضميرها ، سنبقى أوفياء لمبادئك لن نساوم ولن نركع سنبقى مدافعين عن فلسطين كل فلسطين كما علمتنا ، لن نتراجع عن حقنا بالعودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية ، وسنواصل المسيرة التي رسخت مبادئها ، فانت تاريخ الثورة المعاصرة ، كنت دائما عملاقا من عملاقة هذه الثورة ، لقد حفرت اسمك في التاريخ الفلسطيني العريق.

الجالية الفلسطينية ومؤسساتها في البرازيل

.....

قد أعطى الحكيم لشعبه ولحركته الوطنية مأثرة خالدة كبيرة تسجل له وحده.. لم يسبقه إليها احد من القادة الفلسطينيين أو العرب، ولم يفعلها احد من بعده.. إلا وهي إقدامه طوعاً على التنازل عن الأمانة العامة للجبهة الشعبية، تنظيمه الذي أسسه ورعاه، وأصر على التنحي عن مقعد القيادة، ولم يستجب أبدا لدعوات معظم قادة وكوادر جبهته الذين طالبوه بصدق بالاستمرار في موقع القيادة..لقد خسر الشعب الفلسطيني برحيل الحكيم حبش قائداً هماماً قل مثله الرجال.. لكن شعبنا الفلسطيني.. وكما قال راحلنا العظيم نفسه.. ليس أبداً بعاقر، وحتماً ستلد نساء فلسطين دوماً قادة وحكماء وثوريين جدد، يواصلون قيادة شعبهم في مسيرة الكفاح الطويلة، ليحققوا كل ما كان يتمناه الحكيم، وناضل من أجله رفاقه القادة الشهداء العظام.

خالد منصور
حزب الشعب الفلسطيني

.....

سمعت الدكتور جورج حبش يخطب إتخبلت.. خرجت من بيتنا في العراق ولم اعد حتى الان " هذه العبارة " الشهادة" للشاعر العراقي غيلان.. وغيلان ما زال حياً.. قالها خريف عام ١٩٨٢ في فندق "سيفيو" بعدن عندما جرنا الحديث إلى الثورة وشجونها وقادتها اثر الخروج من بيروت ذلك العام. وغيلان لمن لا يعرفه هو الشاعر محمد علي حوشي، أحد الشعراء الصعاليك المثقفين الكبار، وأحد مؤسسي صحيفة "الرصيف" في بيروت عام ١٩٨١.

ألهذا الحد كان الدكتور جورج حبش ثورياً ووطنياً وقومياً وأممياً وخطيباً ساحراً مؤثراً صادقاً، يدفع الشباب العربي قبل الفلسطيني إلى الالتحاق بالثورة والانضواء تحت جناحها دون استئذان من أب او أم؟ سألت غيلان مستفزاً فقال: نعم كان كذلك وأكثر من ذلك، كان غيلان يرى في الدكتور جورج حبش نبيا.

موسى أبو كرش
كاتب فلسطيني

.....

في لحظات صعبة من تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، غادر الدكتور جورج حبش دنيا الوجود بعد أن ملأ الساحة الفلسطينية والعربية حضوراً وفعلاً وتأثيراً، كما غادر من قبله الرجال التاريخيين من أبناء فلسطين من صنو عز الدين القسام والحاج أمين الحسيني واحمد الشقيري وياسر عرفات... غادر جورج حبش دنيا الوجود رجلاً صلباً ومنتمياً، كصلابة وانتماء شجرة الزيتون الفلسطينية العتيقة، بعد أن صنع المكانة كرائد في الكفاح الوطني التحرري للشعب الفلسطيني، فكان أول الشرارة، وأول اللهيب والفكرة الصاعدة التي تلت نكبة فلسطين .

علي بدوان
كاتب فلسطيني

.....

ولقد كان المناضل الكبير جورج حبش في حياته الشخصية مثالاً للتواضع والتفاني والزهد والترفع وبساطة العيش، فاستحق احترام كل أبناء شعبه وأمته منتزعاً اعجاب الخصوم قبل الاصدقاء، برجل عاش قناعاته حتى الرمق الاخير، ولم يثنه عن كفاحه ترغيب أو تهديد، حتى بات تنازله عن موقع كامين عام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لصالح نائبه القائد الشهيد أبو علي مصطفى تعبيراً عن نزوع ديمقراطي أصيل في تكوينه وممارسته وتاكيداً على ايمانه بتداول المسؤولية كشل من اشكال الإداء الديمقراطي الأصيل.

الامانة العامة للمؤتمر القومي العربي

الاسم الذي سيتحول إلى أسطورة

شفيق الحوت

تعود معرفتي براحلنا الكبير، الصديق والرفيق، والقائد الرمز، جورج حبش، الى أكثر من خمسين عاماً، عندما كنا طلاباً في الجامعة الأميركية في بيروت.

من يومها، ونحن نستقل القطار نفسه من دون أن يحالفني حظ مشاركته العربة نفسها، ووجهة سيرنا فلسطين. ومن المفارقات التي كثيراً ما تذكرناها وضحكنا منها أو على حالنا، أنني كنت أقرب الى الماركسية عندما كان هو "قومياً عربياً"، ولما اهتدى الى الماركسية كنت قد اهتديت الى العروبة!!

رغم ذلك، نمت بيننا صداقة صامتة، وترعرعت علاقتنا على الاحترام المتبادل والإيمان المشترك بأن "الوطن" هو الأصل وهو الهدف وليس الإيديولوجيات إلا سبلاً لاسترداد هذا الوطن.

رحل جورج حبش بالأمس، ولا شك في أن شعب فلسطين سيفتقد هذا المناضل الصلب العنيد لأجيال وأجيال، وسيتحول اسمه مع الزمن الى أسطورة تتحدث عن شبيه له سيظهر وسيتابع النضال حتى تتحرر فلسطين وتسترد القدس.

من كثرة الموت الفلسطيني اليومي منذ عقود، فرغ قاموس المراثي من كلمات فقدت معناها من كثرة تكرارها. فماذا عسانا نقول في جورج حبش غير ما قلناه في رجال من أمثال عبد الناصر وغيفارا وأبي عمار وأبي جهاد وغيرهم وغيرهم من عشرات بل مئات، لا بل آلاف الشهداء الأحرار، وأواخرهم شهداء تموز ٢٠٠٦ وشهداء غزة والضفة حتى هذه اللحظة.

أول ما يجدر قوله ان جورج حبش هو علامة فارقة في تاريخ حركة القوميين العرب. وإذا أمكننا القول بأن قسطنطين زريق كان الرائد الفكري لحركة القوميين العرب المعاصرة، فلقد كان جورج حبش رائدها النضالي، من دون أن نغفل ذكر رفاقه الأوائل من أمثال وديع حداد وهاني الهندي وباسل الكبيسي وغيرهم. بعد اليوم سيشار الى حركة القوميين العرب بمرحلة ما بعد جورج حبش.

وثاني ما يجدر قوله ان جورج حبش هو واحد من المناضلين الرواد القلائل الذين عرفهم التاريخ العربي المعاصر، الذين ثبتوا على مواقفهم ولم تزعزع الأيام عزائمهم وإصرارهم على متابعة النضال حتى النصر الحاسم. فهو من الذين بقوا مع الثورة حتى النصر، وإن يكن غيره الذي رفع هذا الشعار.

وثالث ما يجدر قوله أن جورج حبش هو الوحيد بين من عرفناهم من قادة هذا الزمن، رسميين وغير رسميين، الذي تنحى عن موقع الأول في تنظيمه (نظامه) وأفسح في المجال لاثنين من رفاقه أن يحلا محله في أمانة سر الجبهة، هم القائد الشهيد أبو علي مصطفى، والقائد الأسير أحمد سعادات.

ورابع ما يجدر قوله، وهو ما يخجل الواحد من ذكره، لولا هذا الزمن الأردأ من الرديء الذي وصلنا إليه، هو أن جورج حبش من القلائل الذين "أعطوا" فلسطين كل ما لديه، ولم "يأخذ" في المقابل شيئاً له أو لمن حوله.

هل كان قديساً، أو ضميراً، أو ظاهرة، أو.. او..

لا هذا ولا ذاك، كان جورج حبش مناضلاً من فلسطين كما يجب أن يكون عليه المناضل.

جورج حبش ... رجل المبادىء والمواقف الثورية

محمد العبد الله

ساعات قليلة تفصلنا عن انتهاء اليوم الأخير لمجلس العزاء بـ "الحكيم" في مخيم اليرموك بمدينة دمشق، وحزن مقيم فينا يمتد على أيامنا منذ مساء يوم السبت ٢٦/١/٢٠٠٨، عندما توقف ذلك القلب الكبير المفعم بالإصرار والتحدي عن الخفقان في أحد مشافي العاصمة الأردنية. طوال تلك الأيام والساعات الثقيلة لم أستطع فيها أن أكتب عن الراحل العملاق.

الكلمات التي يغذيها دمع العين تعجز عن الرثاء والنعي، فكأن الواحد منا ينعي قطعة من جسده وروحه، نحن مَنْ تفتحت عقولنا قبل عيوننا على اسمه الذي تداولناه بيننا في العائلة والمدرسة الثانوية قبل أربعة عقود ونيف. فهذا الاسم الذي مَثّل لنا المناضل القومي المنتمي لأمة عربية واحدة، الذي وهب حياته من أجل العمل على توحدها الحقيقي في سبيل "تحررها واستردادها لفلسطين". هكذا تعرفت على الإسم أولاً، ثم على المبادىء والأهداف والقيم لاحقاً. لقد اختزل الحكيم في حياته الممتدة على مدى ستة عقود تاريخاً لأمة بدأت تتلمس طريق نهضتها وتحررها الوطني بإطار جماعي. فمع البدايات الأولى لبلورة وعيه النظري/الثقافي الجنيني في جمعية "العروة الوثقى" أثناء دراسته الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت بدأت ترتسم الخطوط العامة لتكوين طالب كلية الطب القادم من مدينة "اللد" الفلسطينية، المنكوبة كشقيقاتها بالإنتداب البريطاني، الذي يظلل التمدد السرطاني لليهود، المتنوع الأشكال "استعماراً للأرض، جرائم التشكيلات العسكرية المسلحة" والذي أمسى منذ منتصف عام ١٩٤٨ واقعاً احتلالياً في صيغة الكيان الصهيوني. جاء الرد سريعاً من الحكيم وزملائه فقرروا انشاء "كتائب الفداء العربي" التي تركّز عملها الفردي في بعض العمليات "الثأرية" المحدودة التي استهدفت مراكز الاحتلال، والتي لم تكن أكثر من ردة فعل مارسها بعض من الشباب المتحمس الذي أدرك لاحقاً أهمية العمل الجماهيري المنظم، ومن هنا بدأ تشكيل النواة الصلبة لـ"حركة القوميين العرب". كوكبة من الشباب انزرعت في تربة الوطن العربي الكبير، وبدأت بذورها في النمو، إذ روتها الأجيال الملتحقة بالنضال القومي بالعرق والدماء، فالمئات منهم سقطوا شهداء على طريق الكفاح المسلح ـــ العنف الثوري المنظم كما عبّرعنه الحكيم ـــ في فلسطين وجنوب اليمن، والآلاف الأخرى عرفت كل أصناف الاضطهاد والقمع والاعتقال في سجون الأنظمة العربية المغرقة في تخلفها ورجعيتها.

جورج حبش المسكون بالفكر القومي/الإنساني، الحالم بوحدة هذه الأمة وتحررها، عمل من أجل تحقيق مبادئه على بناء المؤسسة/التنظيم/الحزب المستندة إلى التطور الطبيعي للبعد النظري/الأيديولوجي في رفد الحركة التنظيمية "الشرائح والقوى الإجتماعية المغادرة أو المنضوية في البنية الداخلية للحركة" والتي انعكست تفاعلاتها في الخطاب السياسي/الاجتماعي لبيانات وتعاميم وأدبيات الحركة والجبهة لاحقاً. وقد واجه في مسيرة التطور تلك "دعاة فكر" طفولي توضحت دلالات مراهقته اليسارية باكراً على الموقف الوطني وفي بعده النظري. في خضم تلك التفاعلات الداخلية، لم تدفعه المواجهة للإرتداد نحو الإنغلاق، بل فتحت له أبواباً مشرعة نحو المزج الخلاق بين النظرية الماركسية–اللينينية والفكر القومي. يقول الحكيم في هذا الصدد (أنا ماركسي، يساري الثقافة، والتراث الاسلامي جزء أصيل من بنيتي الفكرية والنفسية، معنيّ بالإسلام بقدر أي حركة سياسية اسلامية، كما أن القومية العربية مكوّن أصيل من مكوناتي ... إنني في حالة انسجام مع قوميتي العربية ومسيحيتي وثقافتي الاسلامية وماركسيتي التقدمية). وقد ساهم الوضوح النظري اليساري، المستند إلى جلاء صورة العدو الاحتلالي الاجلائي العنصري، بأن شكّل للحكيم وللجبهة، صمام أمان فكري/سياسي منعها من الإنزلاق ـــ كما اندفع بعض أدعياء اليسار ـــ للرهان على دور مايسمى بـ"اليسار الاسرائيلي".

لقد أدت الإنعكاسات الدراماتيكية المفجعة لهزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ على كل تشكيلات العمل الحزبي القومي في الوطن العربي فكراً وممارسة، وانعكست بشكل واضح على برنامج ونشاط "حركة القوميين العرب" التي ربطتها بالناصرية علاقات أثارت في محطات سياسية جدلاً واسعاً في صفوف الحركيين، عبرت عنه مجلة "الحرية" الناطقة باسمها في تلك الفترة ـــ مقالات محسن إبراهيم ومحمد كشلي تحديداً ـــ، مما أدى لتسريع خطوات الانهيار في تشكيلات الحركة، واتخاذ بعض الأقاليم والفروع قراراً بـ"حل نفسها". لم يتأخر الحكيم ورفاقه في الفرع الفلسطيني للحركة على صوغ الإجابة على الهزيمة التي أدت لاحتلال الضفة والقطاع وأراض عربية أخرى، فبدأ التنشيط لمجال الحركة النضالي، الذي بدأ قبل سنوات عديدة بالتوجه نحو استطلاع إمكانية العمل الجماهيري والمسلح داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وقدم شهيده الأول "خالد أبو عيشة" فوق تراب الوطن، وهذا ما وفر مع عوامل عديدة سرعة تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي أثبتت حضوراً متميزاً في نشاطها الجماهيري وعملياتها المسلحة ضد قوات الاحتلال الصهيوني. أتاح للجبهة تلك المكانة الأساسية والمتقدمة في المشهد الكفاحي الفلسطيني ومؤسسات عمله الجماعية. ومع اندفاع القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير في برنامجها التسووي، أكد الحكيم رفضه التبريرات التي قدمتها تلك القيادة تحت ذريعة التعامل مع ما هو مطروح للحصول على "الممكن"! وهذا ما عبر عليه رده على تلك السياسة بصرخته التي عكست نبض قلب كل مناضل (الثورة الفلسطينية قامت لتحقيق المستحيل لا الممكن) لأن شكل "الدولة الفلسطينية" الموعودة في بنود الإتفاقات، التي عبّر عنها "اتفاق أوسلو" كما يراها الحكيم (لا يمكن إلاّ أن تكون كاريكاتوراً، لأن السلطة الفلسطينية قبلت بالعمل على تقديم التنازلات تلو التنازلات).

تميزت مسيرة كفاحه الطويلة بمحطات نضالية استثنائية، يشهد له أعداؤه قبل رفاقه، بأنه تعامل معها بصلابة لا تعرف المهادنة. فكل تجارب العمل السري، ومواجهات "أيلول الأسود" بالأردن وصولاً لغزو لبنان، أكدت شموخ وبسالة هذا الرجل الذي يؤكد (لا وجود لليأس في قاموسي، ولا أستطيع التسليم بانتصار دائم للظلم) فكل من عرفه طوال مراحل نضاله أكد أن الحكيم يمتلك إرادة فولاذية لا تؤثر فيها وحشية أدوات العدو الرهيبة (تستطيعون أن تدمروا بيوتنا لكنكم لاتستطيعون تدمير إرادة المقاومة فينا). هذه الإرادة التي صمدت أيضاً في وجه المرض واعتلال الجسد، فلا إرهاق القلب ولا إصابة الدماغ استطاعت أن توقف العقل والجسد عن الدور النضالي المتقدم الذي يتطلبه دور الأمين العام للجبهة الذي شغله الحكيم حتى المؤتمر السادس للجبهة الذي انعقد عام ٢٠٠٠. وفي بادرة استثنائية في العمل الحزبي العربي، قرر د. جورج حبش التنحي، ليتيح لآخرين في الجبهة تبوء هذا المنصب، الذي شغله رفيق دربه "أبو علي مصطفى" الذي اغتالته قوات العدو بمكتبه في رام الله بصاروخ أطلقته إحدى طائراتها في الثامن والعشرين من آب/أغسطس عام ٢٠٠١. غادر الحكيم موقعه كمسؤول أول للجبهة، لكنه بقي في قلب الحدث/الصراع، انتقل إلى ساحة أخرى لا تقل أهمية عن سواها، إلى حقل الدراسات النظرية والفكرية من أجل التفرغ لكتابة تاريخ حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية وتجربته النضالية. كما عمل على تاسيس مركز "الغد العربي للدراسات" من أجل دراسة أسباب الهزائم المتتالية التي أصابت المشروع القومي التحرري، بما يتطلبه ذلك من استنهاض للقدرات الفكرية لدى نخبة من المفكرين والكتاب، لدراسة تاريخ الصراع العربي الصهيوني ونتائج ذلك على كافة المستويات. لقد أشرف الحكيم على المركز الذي استطاع تزويد المكتبة العربية بعشرات الكتب والدراسات الهامة، في ظروف مالية صعبة وقاسية، واستطاع مع القلة القليلة المحيطة به في المركز العمل الدؤوب من أجل تذليلها. لم يتوقف جهد الدكتور جورج حبش عند ذلك، فقد عمل وتابع الفكرة الأساسية التي انطلق منها مبكراً: العمل على تشكيل نواة عمل قومي تلتئم في اطارها القوى القومية واليسارية المناضلة من أجل صياغة الرد على المشروع الامبريالي الصهيوني في المنطقة.

في تجربة الحكيم العديد من الدروس والعبر، إذ توحد فيها الخاص والعام، وامتزج فيها النضال الوطني بالقومي ومن ثَمّ بالأممي والطبقي. ومع تطور مراحل المسيرة الفكرية والسياسية والكفاحية تلك، يتلمس المدقق في بعض محطاتها السياسية الأبرز بعض الاجتهادات التي واكبتها بعض الانتقادات من الحلفاء الأوفياء والأنصار المقربين من التجربة، لأن العديدين منهم كانوا يرون في مواقف المؤسس نزوعا نحو التطهرية. في السنوات الأخيرة من عمره الزاخر بالعطاء والبحث، كان تركيزه على ضرورة القراءة النقدية لتجربة العمل القومي العربي، بهدف التوصل إلى رؤية جديدة ومتجددة تسعى لإرساء بنية جدية لحركة عربية يسارية موحدة، تنهض بمهام المواجهة للمشروع الإمبريالي الصهيوني الذي يستهدف الأمة العربية والوطن الكبير، تاريخاً ووجوداً ومستقبلاً. وهنا أستحضر ما كتبه "سعد محيو" في مقالته المنشورة قبل أيام عن الحكيم (كان الأجدى بأن يتواجد جورج حبش في قمرة قيادة القومية العربية لا في غرفة قيادة الجبهة الشعبية) وأضيف، أنه كان بمقدور الحكيم التواجد بنفس الموقعين نظراً للتداخل العميق في مهمات الحركتين.

قبل توقف القلب الكبير بساعات، كان أحبته في المشفى. القلة منهم تتناوب على الدخول لغرفته، كان يسألهم عن تطورات الأوضاع في فلسطين، وخاصة في غزة الصامدة المقاتلة. ألح على الاطلاع التفصيلي على أحوال شعبه هناك، وعندما علم أن الجماهير التواقة للحرية وللدواء والغذاء قد اقتحمت المعبر بأمواج بشرية هائلة حطمت الحدود المصطنعة بين أبناء الأمة الواحدة، ارتسمت علائم الفرح على قسمات الوجه الجميل الذي أنهكه المرض، لتأتي الكلمات معبّرة عن الأمل/الحلم الذي حمله المناضل القومي والأممي (ممتاز..ممتاز..سياتي حتماً اليوم الذي تهدم فيه الحدود التي صنعتها سايكس – بيكو ويتحقق حلم الوحدة). إنه شعبك كما عرفته أيها المؤسس، فقد تنفس الهواء خارج السجن، واشترى بدراهمه وكرامته الغذاء والدواء، ولم يمارس التخريب والنهب كما تفعل قطعان الغوغاء في أكثر من مكان. وقد أكدت نساء هذا الشعب أن دورهن لا يقل عن دور الرجال، إذ تحولت أياديهن وهن يطرقن بوابات الجدار في مبادرتهن التاريخية ـــ كما طرق الشبان في رواية غسان كنفاني جدار الخزان ـــ إلى معاول هدم ليس للسجن وحده وإنما لعقلية وممارسة السجان.

رحل الحكيم جسداً وبقيت روحه وأفكاره منغرسة في وجدان وضمير كل وطني، خاصة وأن المبادىء العظيمة التي حملها ونقلها للأجيال التي تربت في مدرسته السياسية والأخلاقية ما زالت متوهجة. فطوال سنوات عمره المديدة، أعطى الحكيم لأمته وشعبه كل ما يملك، وغادر الحياة وهو لا يملك ـــ بالمعنى المادي الذاتي ـــ شيئاً. لم يعرف الحكيم حياة الترف والامتيازات، وهو ما أكد عليه أمين عام حركة الجهاد الإسلامي الدكتور "رمضان عبد الله شلح" في اليوم الثاني لتابينه في مجلس العزاء (لم يُوَقع الحكيم في حياته على شيك). عاش راحلنا الكبير عفيف اليد واللسان، وكان نموذجاً للآلاف من القيادات والكوادر والأعضاء في زهده بالحياة المادية ومظاهرها، ولنا في حياة الشهداء "وديع حداد، أبو علي مصطفى" كل الدلائل على ذلك السلوك، ناهيك عن القادة الأحياء الذين تبوءوا أرفع المراكز في الجبهة على مدى العقود الأربعة المنصرمة من تجربتها، والذين قدموا للشعب والأمة القدوة في التواضع والنزاهة.

في حضرة الموت كانت روح الحكيم تملأ القلوب والعقول، وفي داخل الكنيسة حيث كان الجسد الطاهر النبيل مسجى، كانت المبادىء الثورية التي زرعها في الأجيال تملأ المكان.

يا حكيم أمتنا وشعبنا: لقد ودعك شعبك وأمتك بما يليق بك، فمن اللد إلى سخنين مروراً بكل مخيم وبلدة فلسطينية داخل الوطن الفلسطيني، وصولاً إلى العديد من المدن العربية، تحولت مجالس العزاء بك، لمهرجانات وطنية تستلهم الدروس من حياتك. غصت كل الأماكن بأبناء شعبك وبكل أحبتك من القوى والشخصيات العربية المناضلة، ولم يتأخر المناضلون الأمميون عن المشاركة، فالغيفاريون الجدد، بناة الاشتراكية في أمريكا اللاتينية، كانوا حاضرين من خلال سفيرة فنزويلا البوليفارية في مجلس عزائك باليرموك، كان ثوريو العالم معنا في مجالس تخليدك، والذين لم يستطيعوا الوصول، بعثوا رسائل الوفاء لك ولقضيتك.

أبا ميساء: نم قرير العين، فالقضية التي ضحيت من أجلها لا زالت تتلألأ متوهجة في أحداق عيون الملايين من أبناء أمتك، تحميها سواعد وبنادق أبناء شعبك في الكتائب والسرايا والقوى العربية المقاتلة في العراق ولبنان من أجل تحرير الأرض والإنسان.

يا حكيمنا: إن غاب جسدك عنا، فروحك الكفاحية تملأ هواءنا وأرضنا، فالثوريون لا يموتون.

جورج حبش.. حي في ذاكرتنا

مهند عبد الحميد

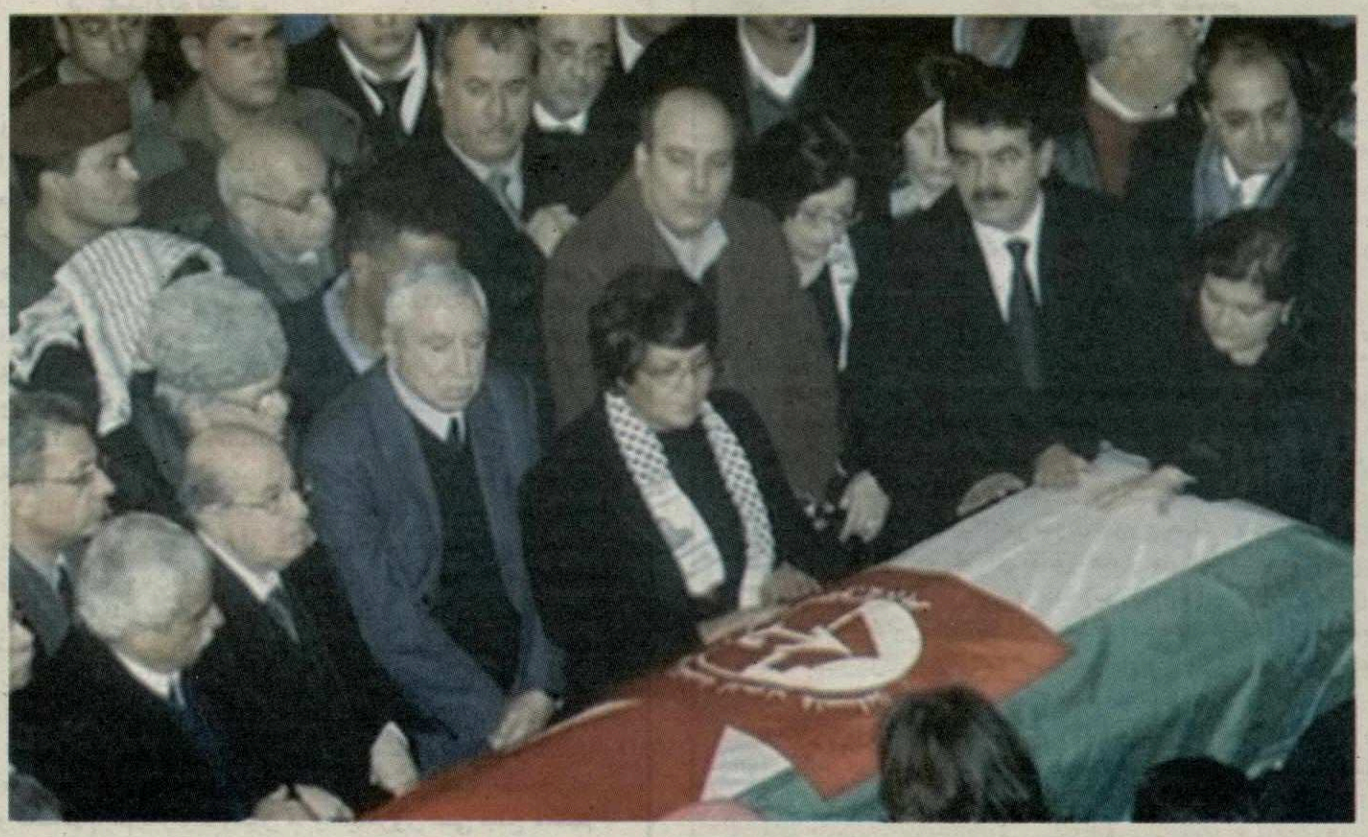

كتبتُ مادةً بعنوان "الحكيم رمز ومدرسة" لصحيفة "صوت النساء" تعرّضت فيها إلى مواقف إنسانية وفكرية في تجربة الراحل الكبير. صبيحة اليوم التالي تساءل زميلي المختص بالقصة الصحافية بسام الكعبي، بعد قراءته المادة: لماذا اخترت الكتابة التقليدية؟. قلت: ما يهم في الكتابة هو الملامسة العميقة وطرح الأسئلة الإشكالية؟. رد علي: كثيرون سيتحدثون عن فكر ومواقف الفقيد، لماذا لا تأخذ بعداً آخر وخاصة في لحظة الفقد. اقتنعت بالفكرة التي تعزّزت عندما قالت لي زميلة أخرى: لماذا لم تكتب عن قصص عايشتها مع الحكيم؟ اندفعت بعد هذه الملاحظات لتجاوز الشكل التقليدي ومحاولة التعبير بأسلوب آخر. بدأت أقدح ذاكرتي مفتشاً عن الجانب الإنساني في التجربة عبر قصص حدثت وكنت شاهداً عليها. "الجاكيت الجلدي الأسود الذي ترتديه جميلٌ جداً يا رفيق" قال المقاتل للحكيم أثناء زيارته إحدى القواعد. نظر الحكيم مبتسماً وقال: "بعرف، لا يوجد عندي غيره وهذه المرة مش راح أهديه لأحد". في مرات سابقة عندما كان الرفيق أو الرفيقة يبدي إعجابه بجاكيت الحكيم الجلدي، كان يخلعه على الفور ويقدمه كهدية. حدث ذلك ثلاث مرات، وبعد أن انتشرت الأخبار زاد عدد المعجبين بجاكيت الحكيم في مواسم الشتاء، ولم يعد في الإمكان مادياً وعملياً تكرار الهدية! احتفظ الحكيم بجاكيته هذه المرة وعقّب مازحاً: نريد زيادة العضوية على أساس البرنامج والفكر وليس على أساس آخر!!. كان مخيم تل الزعتر تحت الحصار المحكم من كل الجهات ويتعرض لقصف تدميري، خرج الحكيم في جولة تفقدية لمواقع المقاتلين في الجبل، سمع آراء من رغبوا بالحديث، كان يعرفهم ويسميهم بأسمائهم، وحاول تشجيع من لم يتحدثوا ولا يعرفهم، لفت نظره وجود رفيقة لم يشاهدها من قبل وفوجئ بأنها زوجة رفيق لم يمض على زواجهما أسبوعان، اندهش، وسأل: من الذي أتى بكما في شهر العسل؟ سارع الرفيق إلى القول: جئنا ندافع عن المخيم. بدأ يتحدث للمجموعات المقاتلة التي تحاول دخول المخيم وإدخال ما تيسّر من مواد طبية وتموينية. المجموعة التي تسللت في الليلة الماضية لم تعد حتى اللحظة، قال مسؤول الموقع، وقد انعكس ذلك على عمل مجموعات الحماية التي تقصف أجزاءً من محيط المخيم لتعيق تقدم القوات المهاجمة. تحدث طويلاً حول أهمية إنقاذ أبناء المخيم الأبرياء، وأضاف: كل واحد فينا يتخيل أنه داخل مخيم يتعرض للدمار كل واحد فينا مسؤول عن حياتهم. تحدث المقاتلون بحمية وطالبوا بوضع خطة للاقتحام وإنقاذ المخيم. رد عليهم بالقول: لا نريد المزيد من الخسائر في صفوفكم وصفوفهم، نريد إنقاذهم وحمايتهم، لا بد من دراسة رد مشترك مع رفاقنا وإخواننا في القوات المشتركة اللبنانية الفلسطينية. أنهى اللقاء متوقفاً عند العروسين الرفيقين، شد على يديهما متمنياً لهما السلامة لقضاء شهر عسل آخر. قال قائد سيارة الحماية: يوجد قنص في الطريق (إلى الموقع القريب من البقاع الذي يود الحكيم زيارته) الدبابات اقتربت من الموقع والحركة محفوفة بالخطر، هذا ما أبلغنا به الرفاق في الموقع عبر الجهاز، وهذا ما قاله السائقون الذين توقفوا عن الذهاب. استشعر المرافقون الخطر فأرسلوا سيارة للاستطلاع سرعان ما عادت بعد تعرضها للقنص. رغم ذلك قرر الحكيم الذهاب للموقع وقال مازحاً "أكيد مش راح يصيبونا" !! عند وصول السيارة الأولى تعرضت لإطلاق النار وفي هذه اللحظة تولى مسؤول الحراسة الشأن فأصدر أوامره بالضد من رغبة الحكيم أو هكذا بدا الموقف، وأقفل الموكب عائداً لتسود لحظات من الصمت قبل أن يبددها رهان الحكيم الساخر القائل بأن "الجنود لا يصيبون الهدف" !!. أنهت مجموعات من الطلبة الآتين من دول عربية وأوروبية ومن الأميركيتين معسكراً تدريبياً، وكان الختام لقاء مفتوح مع الحكيم. تحدث الحكيم وبعد ذلك أخذ يستمع للآراء خلافاً لتقليده المتبع مع المقاتلين. بعض الأسئلة كان نقدياً فوق العادة، وبعضها كان جارحاً، والبعض الآخر عبر عن فخره واعتزازه بمواقف الجبهة الشعبية. بدأ الحكيم الإجابة بالقول: أولاً، أشكر الذين نقدوا رغم أنهم مدوا الأمور إلى نهاياتها، وأضاف، صحيح أن النقد يستفز لكنه يفرض علينا مراجعة المواقف ومعرفة أين أخطأنا وأين أصبنا. أريد أن أكون صريحاً معكم، (قالها بنبرة واثقة لا تخلو من عتب): من كان يعتقد بأنه في تنظيم لا يخطئ فهو مخطئ، ومن يرغب في الانتماء إلى تنظيم منزّه عن الخطأ فليسمح لنا بالقول: لانستطيع تلبية رغبتك لأننا تنظيم يخطئ. وتساءل: أتعرفون لماذا نخطئ؟ ثم أجاب بعد هنيهة صمت: لأنكم لا تشاركوننا العمل في مختلف المجالات بصفتكم فئة مثقفة متعلمة، أنتم تنتقدون من بعيد، من خارج العملية وهذا حقكم، ولكن إذا أردنا الاستجابة للنقد فنحن نحتاج لجهود إضافية وربما نوعية. لماذا لا ينخرط البعض في العملية التنظيمية والنضالية؟، ولماذا لا تقدمون أفكاركم بصيغة مقترحات وبرامج حتى لو كان ذلك من بعيد؟ ... كم واحد منكم بادر إلى ذلك. انتقل الطلبة الى مواقع الدفاع وشرعوا بنقد أحوالهم. ما هي علاقتكم بالقوى الثورية في البلد الذي تعملون به؟ السؤال الأول الذي كان يطرحه بنوع من الاهتمام المركز لمسؤولي الساحات والمواقع. كان يربط نهوض القوى الديمقراطية والثورية في هذا البلد أو ذاك بتطور المقاومة وأشكال العمل الجماهيري الفلسطيني. ولا يكتفي بالسؤال بل كان حريصاً على إقامة علاقات تحالف مع تلك القوى، ولم يتوان عن تقديم الدعم المطلوب. في لقائه مع قوى ثورية مصرية قبل اتفاقية كامب ديفيد، انصب اهتمامه على الجانب الفكري والنظري وأكد حاجة الجبهة للتطوّر بمساعدة حلفائها المتقدمين فكرياً والذين حققوا تطوراً على هذا الصعيد، وقال: إنه سيعرض على المكتب السياسي مشروع دعم طباعة مجلات وكتب ـ صدر قرار بالدعم لاحقاً ـ ولقاءات لنقاش القضايا الشائكة وتبادل الأفكار والمقترحات. القضية الثانية التي طرحها بصيغة سؤال: لماذا لا تطلقوا مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي في سيناء؟ حتى وإن كان ذلك بصورة رمزية ودعائية. وفي لقائه مع قوى سورية ثورية طرح القضايا نفسها إلى حد كبير وشدد على سؤال: لماذا لا تفكرون بالمقاومة في الجولان المحتل؟ ونحن مستعدون لدعمكم.

الحكيم رمز ومدرسة

توقف القلب الكبير عن الخفقان' جورج حبش ضمير ثورة والضمير يبقى حيا.ماثرته الابرز الدفيء الانساني والعاطفة الصادقة ، كان المقاتلون يشعرون بالأمان، بحب واحتضان ابوي من طراز لم يعتادوا عليه. الحكيم يتوحد بالمناضلين والمناضلات بعد إزالته الحواجز عبر حوار مفتوح يسمع فيه كثيرا ويتفوه بالقليل. وفقا لذلك، أنت تذهب عبره الى ثورة من موقع ثقة واطمئنان فتزداد وطنية وثورية. في مجتمعنا كما في المجتمعات الاخرى صورة القائد تترك بصماتها على الجميع. نزاهة تواضع أمانة أخلاق، صفات أصيلة حقا صنعت مصداقية الحكيم وأضحت جزءا من مدرسته الفكرية وشخصيته المميزة. اندفاعة الحكيم الثورية بدأت مع الفكر القومي الذي احتل مركز الصدارة آنذاك، كان الثابت لديه هو الثورية والمتحرك هو الفكر، صعد نحو القومية بنسختها الناصرية، وتقدم نحو اليسار المقاوم بعد هزيمة المشروع القومي، غادر القومية دون طلاق واقترب من فكر الوطنية الفلسطينية بهويته اليسارية الجديدة. انجذب يساريون عرب بالمئات الى اليسار المقاتل فاعطوه قوة وزخما بأفكارهم وحواراتهم ، فأعلوا من شأن النقد وساهموا في اسناد الجانب التنويري الحداثي ضمن هذه التجربة الثورية. لكن انفصالهم عن مجتمعاتهم بدون الاندماج في المجتمع الفلسطيني، وضعف بنية اليسار الجديد الفكرية والتنظيمية أعادتهم من حيث أتوا، ذهبوا ليصنعوا يسارهم الجديد على أرضهم ومن داخل بلدانهم، ثم عادوا لينسجوا علاقة جديدة مع اليسار الفلسطيني عبر بوابة الحكيم ا الذي احتضنهم بالدعم والرعاية الرفاقية.، وحاول ان يؤسس محورا جذريا ثوريا معهم. تجربة الحكيم كانت محط اهتمام منظمات ثورية يسارية عالمية، لكن تلك العلاقة سرعان ما تلاشت بفعل التحالف مع معسكر الدول الاشتراكية وحركات التحرر الدائرة في فلكها. العنصر الاهم في فكر الحكيم تبنيه لقضية المرأة بما هي قضية تحررية. التحرر الوطني ارتبط عنده بالتحرر المجتمعي ومساواة المرأة بالرجل. كان اقتناعه بقضية المرأة عميقا، فحرص على نصوص برنامجية غير ملتبسة في شأن حرية المرأة وحقوقها، وأقرّن النص بمسعى دؤوب في الجانب التطبيقي. وحرص على استقطاب وإشراك وتمثيل النساء والفتيات في كل قضية ومعركة ومفصل. والتجسيد الاهم في فكر جورج حبش هو الوحدة الوطنية ' جسد وحدة اسلامية مسيحية نموذجية في إطار التنظيم والحركة الوطنية والمجتمع داخل وخارج الوطن. ولعب دور صمام الامان للوحدة الوطنية في إطار المنظمة والثورة، صحيح انه اقترب من أنظمة في إطار تحافه السياسي لكنه سرعان ما كان يبتعد عن الانظمة في لحظة تهديدها للوحدة الوطنية، وابتعد عن المنظمة في إطار اختلافه السياسي معها لكنه سرعان ما يقترب ويعود الى البيت، كان يفعل ذلك في الوقت المناسب لان بوصلته فلسطين ولا بوصلة لديه غير فلسطين . وجسد الديمقراطية بالنقد الذاتي ونقد الاخر بشجاعة وثقة، بابتعاده الطوعي المبادر عن الامانة العامة للتنظيم فاتحا المجال لكفاءات أخرى، كان يستطيع البقاء حتى اللحظة الاخيرة لكنه احترم الديمقراطية وجسدها من موقع الاقتدار وقدم نموذجا رائعا ومميزا. جورج حبش مدرسة علمتنا الكثير انه ضميرنا الاخلاقي الحي والنجم الذي يضيء المسيرة الطويلة حتى نهاياتها الظافرة.

mohanned__t@yahoo.com

جورج حبش

د. عبدالإله بلقزيز

النظافة، النقاوة، الطهارة، المبدئية المثالية، الإيمان الأسطوري بقضية.. مفردات لا تنتمي إلى السياسة وقلما كانت في التاريخ من معدات من يحرثون في حقل السياسة ويزدرعون. الأنبياء والأبطال التاريخيون وحدهم من ارتفعوا بالسياسة إلى مستوى الرسالة فحرروا السياسة من المعنى الضعيف، وزودوها بالطاقة الأخلاقية التي صنعت بها المعجزات في الأرض وحررت بها البشرية من الخوف والعبودية والاعتساف والقهر. غير هؤلاء، لم يعرف للسياسة، ولم يعرف من السياسة، غير معناها المألوف والمبتذل كقرينة على المصلحة أو المنفعة وكوسيلة مجردة من أية أخلاقية عليا عدا تلك التي تؤسسها السياسة نفسها وتسوغها بحسبانها الأخلاقية الشرعية والإيجابية الوحيدة. ولم يكن رعاة الصلة الماهوية بين السياسة والأخلاق في تاريخ الإنسانية ممن حالفهم الحظ دائماً فأفلحوا في تحصيل ثمرات نظرتهم الإنسانوية الرفيعة إلى السياسة كرسالة عليا من أجل خير البشرية. فقد يحدثنا التاريخ عن مصائر ومآلات غير طيبة لهاتيك المساعي التي سعى فيها الأعاظم والكبار. إليكم ما تقوله صحائف السماء ومدونات التاريخ في الدنيا: كم من نبي جحده قومه فقتلوه أو حاصروا دعوته فقضى في صمت من غير أن تصل رسالته إلى شغاف النفوس، لتخرج تعاليمه من حيز السياسة والإمكان المستحيل إلى حيز الارشاد الروحي وطقوسه من صلوات وجولات في النفس عميقة. وكم من بطل تاريخي ألقى في نفس شعبه فكرة كبيرة فخذله الزمن وانكسرت بطولته مادياً ثم انبعثت أمثولة في النفوس تستلهمها الأجيال وتتجدد بها الآمال. في المقابل، ما أكثر من أخذ السياسة بغير مأخذها الأخلاقي فكسب معركة ثم لم يلبث أن خسر حرباً بعد حين. ما أكثر السياسيين الذين كسبوا رهانهم فأتى عليهم الدهر بالنسيان. وما أكثر الذين حفروا في ذاكراتهم أسماء الأنبياء والأولياء والأبطال التاريخيين الذين قضوا ولم يعاينوا ثمرات نبوءتهم أو نضالهم. لم يترك الأولون ما به يذكرون على فالح فعلهم لكن الأخيرين بذروا في النفس معنى لا يزول وارتفعت قاماتهمْ عن حدود البشري والواقعي. من لا يدرك حقيقة هذا الرأسمال الرمزي النادر في صناعة التاريخ لا يدرك التاريخ، نعني: لا يدرك الديناميات العميقة التي تصنع التاريخ. من لا يدرك ذلك، سيعجز دائماً عن فهم الأسباب التي تقود إلى عودة "الأموات" وأفكارهم ومثلهم إلى رحاب السياسة والحياة العامة، عما يسميه بعضهم اليوم بعودة الموروث ومعه عودة تلك الطاقة المعنوية المذهلة التي لا تقبل صرفاً أو قياساً بالقيم والمقاييس المادية. هذا ليس نصاً في هجاء السياسيين، ولا هو نص في مديح الأبطال والأنبياء والمرسلين. إنه أقرب ما يكون إلى البوح والاعتراف: البوح بشعور إنساني تجاه فقدان معنى رفيع من معاني السياسة في تاريخنا العربي المعاصر، والاعتراف لمن أخذ معه ذلك المعنى وهو يرحل عنا بالجميل التاريخي الذي يليق بأي شريف على هذه الأرض أن يعترف لصاحبه به. وصاحبه جورج حبش: الرجل الذي يكفيك اسمه كي تعرف من هو. إنه الفكرة والقضية والثورة في صورة رجل اختصر المعاني كلها وارتفع عن حدود المحسوس والمألوف. كان بسيطاً إلى أقصى حدود البساطة. لكنها البساطة التي لا تنقاد لأحد سواه، أو لأحد ممن هم في جملة أضرابه (وهم قليلون لا يكادون يحسبون). كأن البساطة ما كانت وضعت لغيره حين وضعت. كأنها على مقاسه كانت فأتت تعرض نفسها في كل شيء فيه: في صوت شديد الدفء والصدق، في ثغر لا يبخل يوماً بفيض ابتسامات يفتر عنها، في حركات اليد المسكونة بالحزم، في مفردات تهبط بالمصطلح السياسي إلى اللغة المحكية التي تخاطب أكثر الناس. معه أنت في حضرة رجل تاريخي بامتياز، رجل ندر أن وجدت له في التاريخ المعاصر مثالاً. لكنك تحار في فهم ذلك المنسوب الهائل من التواضع في شخصه والذي يتدفق بتلقائية من عينيه ومن لسانه من دون حدود. وفي بساطته كان ملتزماً ثوابته بحزم بحيث لا يحيد عنها حتى حين تدلهم الآفاق. تحاول عبثاً أن تستدرجه إلى حديث عن أفق قريب ممكن، فيأخذك إلى البعيد. تفهم أن السياسة عنده مسكونة بالتاريخ، بل هي التاريخ يمشي خارج قلعة الماضي فيردد دروسه. مؤمن هو لا مكان للشك عنده. الإيمان مذهبه ومشربه وطريقته المثلى في الحياة. رَ ما بدا لك، ع ما شئت، فلا هو يرى ما تراه إن ذهلت عن النظر إلى الأفق المفتوح، ولا هو يعي ما تَعي إن أخذتك مثبطات اليوم عن وعي محفزات الغد. شيئاً فشيئاً تدرك أنه لا دواء عن وعي محفزات الغد. شيئاً فشيئاً تدرك أنه لا دواء ليأسك أو حبوطك أو وهن عزمك سوى أن تصغي ل "الحكيم" جورج حبش فتتمتع بحمام روحي يطهر النفس من أدرانها. كثيرون اختلفوا مع جورج حبش في السياسة، وذهبوا عكس مذهبه فيها: حين كان قومياً عربياً (وكذلك ظل)، وحين أصبح ماركسياً (قومياً). لكن أحداً من الذين اختلفوا معه لم يجادل يوماً في أن الرجل ضمير شعب وأمة لا يضارعه في المكانة ضمير أو يضاهيه. انعقد اجماع الجميع على أنه الترمومتر الأدق قياساً في النضال لقياس درجة الصحة والسواء أو درجة الخطأ والاعتلال في الموقف السياسي والوطني والقومي من هذه أو تلك من أمهات المسائل في تاريخنا المعاصر من منتصف القرن العشرين الماضي. بدأ الحكيم حكيماً (طبيباً) في الأبدان، وانتهى حكيماً في النفوس والإرادات والعزائم: جراحاً ماهراً في استئصال اليأس.

سؤال جورج حبش

حسام عيتاني

تجذب الأحداث البشعة التي شهدتها الضاحية الجنوبية وعدد من شوارع العاصمة الانتباه بعيدا عن غياب جورج حبش. لكن الرجل يدفع في غيابه، كما دفع في حضوره، الى التأمل في الحاضر اللبناني قبل الماضي أو المستقبل العربيين. تأمل على هدير حرب أهلية تقترب لكنه لا يفلح، ولا ينبغي له أن يفلح، في طمس ضرورة أخذ العبر من تجارب سبقت على غرار تجربة جورج حبش.

نظرة سريعة الى مسيرة الراحل تفيد بأنه انتقل من الايديولوجيا القومية العربية الى تلك الماركسية بحثا عن حل لإشكاليات عميقة أثارتها النكبة الفلسطينية. نقول إشكاليات لأن الأرضية التي تقف عليها القضية الفلسطينية لا تتلخص في مشكلة احتلال ولاجئين واستطيان. هذه هي العوارض الصارخة لمرض حاول جورج حبش بعيد استقالته من الامانة العامة للجبهة الشعبية البحث عن أسبابه العميقة عبر محاولة إنشاء «مركز دراسات الغد» الذي كان من المفترض أن يجيب عن سؤال مركزي: لماذا هُزمنا؟

دعونا نزعم أن الإجابة على سؤال جورج حبش الأخير لم توجد في القومية العربية ولا في الماركسية، ولا هي في أي نسق أحادي من التفكير ينتهي الى ادعاء الحقيقة والعصمة و«العلم». ودعونا نتفق أن طهرانية (بوريتانية) حبش ورهط من رفاقه، في سبيل القضية الفلسطينية والثورة، لم تكف للإحاطة بتعقيدات الواقع. فالطهرانية قد تكون ردا احتجاجيا على ما يبدو من أدران لوثت السياسة العربية ولازمتها، لكن الطهرانية ليست الطريق الى إيجاد الحل السياسي لقضية مثل قضية فلسطين.

والقومية العربية ومن ثم الماركسية وصلتا الى طريق مسدود من التعامل مع الواقع العربي بعدما أخفق أنصارهما في الاعتراف بدرجة الظلم الذي ينزلونه بهاتين الايديولوجيتين بفصلهما عن سياقهما التاريخي والحضاري. بل لعله من المنصف القول ان المباراة الايديولوجية بين العرب، من القوميين والماركسيين، والاسرائيليين الحاملين للفكرة الصهيونية، قد جاءت نتيجتها لمصلحة هؤلاء لأنهم، ببساطة، حملوا ايديولوجيا أنتجتها ضرورات حياتهم وظروفهم في أوروبا. بل إنهم وصلوا بها الى انتصارها الكبير بتأسيس دولتهم على أرض فلسطين، ما فتح الباب أمام تساؤلات عن معنى الصهونية بعد تحول اسرائيل دولة قوية يحضنها المجتمع الدولي على النحو الذي نرى. واسرائيل هي، بمعنى ما، النقيض التام للدولة العربية. فالاولى نجحت في تظهير فوائدها وأهميتها بالنسبة الى الغرب والعالم، استطرادا، في حين أن الثانية مثال لفقدان أي نوع من الجدوى بالنسبة الى العالم اللهم باستثناء جدوى استغلالها كمصدر للموارد الطبيعية...

لا مفر عند هذه النقطة من تكرار ملاحظة قديمة تقول ان هشاشة البنى الاجتماعية العربية خذلت القومية العربية والماركسية. فالايديولوجيا، في الحساب الاخير، ليست أكثر من فكر الحركات الاجتماعية. بالايدولوجيا تستتر مطالب الحركات وأحلامها وأساطيرها. ونسخ التجربة الاوروبية، القومية أو الماركسية أو غيرهما، ووضعها خارج السياقات التاريخية والاجتماعية التي أفرزتها، لن يؤدي في الختام إلا الى صدام بين الأحلام والمصالح. بين الايديولوجيا والواقع. هذا الصدام هو الذي تسير على إيقاعه القضية الفلسطينية اليوم. هل نلوم جورج حبش على أحلامه؟ لا، قطعا. فالتاريخ الفلسطيني لم يطو بعد صفحات كان الرجل من أبرز كتّابها، ولم يقل بعد كلمته الاخيرة فيها. غير ان هذا لا يجب أن يحول دون نظر في مسار القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨ وحتى اليوم. بل لا ينبغي أن يقام فصل تعسفي بين المناخات التي نشط وعمل فيها جورج حبش وبين الاجواء التي تسيطر عليها الحالة الفلسطينية. فالرائي الى الساحة الفلسطينية يكاد يخال أن ثمة قضيتين: واحدة كان من جورج حبش وياسر عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف وغسان كنفاني وكمال ناصر من قادتها واخرى تتعاورها قيادات من طينة تلك التي نراها على الشاشات كل ساعة وكل يوم.

ندّعي أنها قضية واحدة. في ما نسب اليها من «بريق» ثوري ولى وانقضى وما يلصق بها تهافت وتداع مقيم لا يحول ولا يزول. وندعي ان الانحدار المريع في مكانة القضية الفلسطينية على الساحة العالمية وانقلاب أهلها قوى متناحرة يصعب تصور لقائهم في أمد منظور، هو نتاج ظروف عالمية هائلة الأبعاد لم تكن القيادة الفلسطينية مؤهلة للتعامل معها. ليس منذ الاجتياح الاسرائيلي للبنان ولا منذ اتفاق اوسلو بل منذ أن ظهرت التباينات العميقة بل الجذرية في داخل المجتمع الفلسطيني بشأن الكيفية التي يتعين التعامل فيها مع مسألة الهجرة اليهودية الجنينية في مطالع القرن العشرين. الانقسام بين ريف ومدينة، بين مؤيد للسلطنة العثمانية (ومن ثم للملك فيصل وللتحالف مع بلاد الشام) وبين مؤيد للعلاقة الوطيدة مع مصر، والخلافات بين أسر الوجهاء الفلسطينيين، كانت كلها إشارات الى العجز الفلسطيني، وبالتالي العربي، عن فهم روح العصر. عصر تدار فيه السياسة وفق المصالح وليس الحقوق، وهذا أقل ما يقال.

ترك جورج حبش، في ما ترك، سؤالا جسيم الأهمية والخطورة: لماذا أخفقنا؟ ولسنا نبالغ اذا قلنا انه من الاسئلة التي تطارد وعيا عربيا مأزوما، من غزة الى لبنان الى العراق. والباقون منا ليسوا في منأى.

— السفير

فلسطين شرط وجود حبش .. والعروبة شرط بقاء فلسطين!

طلال سلمان

عاش جورج حبش حياته على أنه بعض «فلسطين»: هي شرط وجوده بقدر ما هي العروبة شرط بقاء فلسطين لأهلها، قضية تحرر ووحدة. ولأنه عاش دائماً داخل حلمه فإنه قد رحل بعدما ضاق عليه حلمه الذي لم يغادره أبداً. ولعل مما عجل في رحيل هذا المقاوم العريق تلك الصور التي تسنى لجورج حبش أن يراها، قبل أن ينطفئ نور عينيه، للفلسطينيين من أهالي غزة وهم يُسقطون الحدود المصفحة مع مصر، في محاولة عنوانها الرغيف أما هدفها المضمر فهو استعادة شعب مصر الذي قدم لفلسطين من أبنائه مثل ما قدمت وأكثر. لقد رأى اللاجئين (تكراراً) في وطنهم (وقد ضاع منهم) يقتحمون الحدود طلباً لمصر وسائر أهلهم في الدول الكثيرة، تلك الغارقة في الذهب حتى التيه، وتلك المغرقة في دماء أبنائها بالاحتلال الأميركي، وتلك التي انفرد بها حكامها فأغلقوا أبوابها على شعبها وأوهموه أن خلاصه بتنصله من هويته وأعبائها، وكان العزلة هي أقصر الطرق إلى الرفاه والتقدم والديموقراطية. مع الحديث عن جورج حبش، تتداعى فوراً أسماء رفاق السلاح سواء الذين سبقوا إلى الشهادة أو ينتظرون، و«أخطرهم» الدكتور وديع حداد، الذي أدخل أساليب عبقرية جديدة إلى الكفاح المسلح، برغم أنها مسّت بقداسة القضية، ثم هانيّ الهندي، وأبو ماهر اليماني وأولئك الذين بنوا معه حركة القوميين العرب وفيهم العراقي والسوري واللبناني والكويتي واليمني إلخ... ولفترة، بدا وكأن هذه الحركة قد نجحت في إعادة وصل ما انقطع بين «الأخوة العرب»، وأسهمت في إحياء الأمل ببناء الوحدة العربية، خصوصاً وقد انتشرت خلاياها في مختلف الأقطار العربية، مشرقاً ومغرباً. لكن مقدمات الهزيمة العربية في حرب ١٩٦٧، بعد الانفصال الذي دمر أول وحدة عربية (الجمهورية العربية المتحدة) أخذت «الحكيم» والتنظيم إلى مدى آخر، (فهرب» من القومية إلى الماركسية ـ اللينينية، مفترضاً أنها قد تقرّبه أكثر من الطبقات الشعبية المؤهلة لخوض حرب التحرير، وهكذا وُلدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، على أنقاض «الحركة». وباختصار فإنه قد جرّب الوصول إلى فلسطين عبر كل الطرق المتاحة: من عمان الأقرب بالجغرافيا، إلى دمشق الأقرب بحس الانتماء القومي، من بيروت الأقرب بحرية السلاح، من طرابلس القذافي قبل أن «يهاجر» فكرياً إلى نظريته الخاصة... ولكن دائماً من القاهرة الأقوى بدولتها متى ارتفعت فيها راية العروبة التي تم تهجيرها منها بعد وفاة جمال عبد الناصر، وبعد إجهاض النتائج الباهرة لحرب العاشر من رمضان التحريرية إلى غربة الصلح المنفرد... هل من الضروري التذكير بالمأساة الدموية التي نجمت عن «التحول الفكري» المريع الذي أخذ «القوميين السابقين» في عدن إلى المذبحة تحت الرايات الحمراء لماركسية مبتدعة، كانت مهمتها الفعلية تغطية السبق إلى السلطة بتبريرات ليس لها علاقة بأهل البلاد، البؤساء في فقرهم، ولا بثورتهم ضد المحتل البريطاني (في جنوب اليمن) ولا بطموحهم إلى العودة إلى وطنهم الطبيعي: اليمن.

لم يكن جورج حبش سياسياً، بالمعنى المألوف للكلمة، في أي يوم. ربما لهذا لم يتحرج من تبديل الإيديولوجيا، ولكن دائماً بهدف استنقاذ الحلم: تحرير فلسطين أو استعادتها. لكنه عاش مناضلاً في مختلف الساحات. وعاش دائماً حيث يفرض عليه النضال.

أذكر أنني التقيته ذات شباط، في «الكريمة» في غور الأردن. كان ضيفاً على بعض الفلاحين الذين أفرحهم أن يصيروا أدلاء لأبنائهم الفدائيين وهم يعبرون «الشريعة» إلى أرضهم التي يعرفونها بالشجرة والصخرة والمصباح الخافت والمحدلة على السطح الترابي. قال واحد من الفلاحين مخاطباً «الحكيم» وصحبه: يمكنكم أن تهتدوا بآثار أقدام الصحابة من قادة جيش الفتح. من هنا عبروا وهم في طريقهم إلى بيت المقدس، ومن هنا عبروا ثم أقاموا طيلة حصار دمشق، وكثير منهم قضى نحبه ودفن هنا، في هذه الأرض المباركة خلال الحصار، لأن الطاعون ضرب دمشق وأهلها وأصاب من قادة جيش الفتح ومقاتليه الكثير فماتوا ودفنوا في هذه الأرض، وأقربهم إلينا هنا شرحبيل بن حسنة. قال «الحكيم»: نتمنى على الله أن يكتب لنا الشهادة مثلهم من أجل تحرير الأرض.

وأذكر أنني التقيت وأنا عائد من لقائه في منطقة جامعة بيروت العربية، ذات يوم من أواسط السبعينيات، الشاعر الكبير محمود درويش، فسألني بأسلوبه المميز: هل ما زال الحكيم يستوطن البديهية؟ ولم يكن بحاجة إلى جوابي للتصديق على حكمه... الثقافي. وأعرف أن كثيراً من أهل الرأي ورجال السياسة كانوا يعودون من اللقاء مع «الحكيم» آخذين عليه تمسكه بالمواقف المبدئية المجافية لضرورات السياسة. وكان جورج حبش يستغرب اعتراضهم، ويفترض ـ صادقاً ـ أنهم المخطئون، وأن التجربة ـ لا سيما في مواجهة إسرائيل، ومن يتهاون في حربها ـ ستكشف لهم مدى غلطهم، محذراً من «أنك إن لم تواجه العدو فإنه سيأتيك في قلب دارك».

بين كنفاني وجورج حبش

عادل الأسطة

للناقد (ميخائيل باختين) رأي نقدي مقنع، غالباً ما أستشهد به وهو: إن كل كلام غير كلام آدم، عليه السلام، لا يخلو من تناص، إذ إن كلام ابن آدم يعتمد على كلام ابيه. ولما كنت نشأت في بيئة اسلامية، وقرأت الآية (وعلم آدم الأسماء كلها) فإنني أغيّر، أمام الطلبة، كلام (باختين) وأقول: إن كل كلام غير كلام الله هو كلام لا يخلو من تناص، فالله هو الذي علم آدم، والاخير علّم، بدوره، أبناءه.

وسأقول للطلبة: إن الكلام الذي أنطق به امامكم ليس كلامي أنا. إنه كلام الذين اصغيت اليهم، وتعلمت منهم، وقرأت لهم، ربما أضيف جملة هنا، وثانية هناك، ولو لم أقرأ وأثقف نفسي، لما استطعت أن أتكلم ساعة كاملة، وغالباً ما أقارن بين ما كنت عليه، وما غدوت عليه، وأطلب من الطلبة ألا يرتبكوا حين يراجعون كتاباً ما. تذكرت كلام (باختين) وأنا أفكر في كتابة كلمة رثاء لمناسبة رحيل الحكيم جورج حبش، لم أعرف الرجل، ولم أقرأ له الكثير، سمعت عنه، وقرأت بعض مقالات كتبها، وبعض مقابلات اجريت معه، ومقالات قليلة كتبت عنه، في حياته، وبعد رحيله. ولما كنت اعرف أن هناك صلات وثيقة كانت بينه وبين الشهيد غسان كنفاني، في الكويت وفي بيروت، فقد استنجدت بنصوص الأخير القصصية والروائية، أبحث فيها عن صورة الحكيم أو صوته، فلا شك في أن كنفاني ثمن حبش عالياً، ولا شك أيضاً في أنه تأثر به أو أثمر فيه، من خلال الساعات الطويلات التي انفقاها معاً. في أعمال كنفاني الكاملة التي بجوزتي ورقة منفصلة كتبها جورج حبش عن الشهيد كنفاني، وألقاها لمناسبة ذكرى استشهاده، أتى فيها على آراء غسان ودوره في فكر الجبهة ومشروعها، إذ كان يلح على ضرورة نقل المعركة الى داخل فلسطين، وذكر الحكيم أن كنفاني هو الذي صاغ تقرير الجبهة الذي أعد عن مؤتمرها في العام ١٩٧٢، وأشار الى أن هناك اسلوبين في التقرير الاول له والثاني الذي يمتد من ص ٦٠ الى ص ١٨٥، صاغه غسان.

هكذا أقر الحكيم بتأثره بغسان وبدور الأخير في فكر الجبهة وبلورته وصياغته.

يبقى الجانب الثاني وهو أين هو الحد الفاصل بين كلام الاثنين في أعمال كنفاني الأدبية؟ أين هو كلام غسان وأين هو كلام الحكيم؟ إن ما كتبه غسان في رواياته يعكس، الى حد كبير، فكر الجبهة الذي نطق به أمينها العام في المؤتمرات والندوات والحوارات والمقابلات. لقد جسده غسان من خلال نماذج بشرية، وإلا فهل كان سؤال أبي الخيزران في رواية "رجال في الشمس" (١٩٦٣) سوى سؤال غسان نفسه وضعه على لسان الشخصية؟ وهل كان كلام سعيد س. في "عائد الى حيفا" (١٩٦٩) كلاماً آخر غير كلام غسان، ورؤية الجبهة الشعبية أيضاً؟ وهل كانت رواية أم سعد (١٩٦٩) بعيدة عن طروحات الجبهة الشعبية أيضاً؟ في قصته القصيرة "درب الى خائن" (١٩٥٧) يكتب كنفاني عن أبناء مدينة اللد، مدينة الحكيم، ويأتي على قصة مواطن لاجئ أقام في الكويت، وقرر أن يتسلل الى اللد ليقتل أخاه. ما منعه في البداية يتمثل في حبه لأمه التي كانت على قيد الحياة، وحين ماتت قرر أن ينجز المهمة: أن يقتل أخاه. لماذا؟ لأنه تعامل مع الاسرائيليين وخان أبناء عمه ووشى بهم. وعموماً فإن القصة تطرح فكر الجبهة الشعبية في تحرير فلسطين، قبل تشكل الجبهة.

ليست رابطة الدم مقدسة، وإذا كان لا بد من تحرير فلسطين، فلا بد أولاً من تحرير البلدان العربية من أنظمتها التي تعيق حركة الثوار، وتضع الحواجز أمام فعلهم. وأنا أقرأ كلمات الرثاء لجورج حبش، وأنا أقرأ أيضاً ما كتب عن حياته في الصحف وفي الكتب، ألتفت الى تجربة خروجه من البلد، والى ما شاهده على الطريق من جثث القتلى الفلسطينيين الذين أخرجوا من مدينتهم وقراهم، وقد أشار الى هذا ايضاً الكاتب الاسرائيلي (ايلان بابيه) في كتابه: "التطهير العرقي" (٢٠٠٦)، وذكر جورج حبش وتأثير الهجرة عليه. سيترك هذا الحادث تأثيراً عميقاً على حياة الحكيم الذي سيؤسس الجبهة الشعبية من أجل استعادة وطنه، ولن يلتفت الى حياته الخاصة، فقد كان بإمكانه أن يمارس مهنة الطب، وأن يحيا حياة مستقرة هادئة، وكان بإمكانه أن يبتعد عن السياسة ومركبها الوعر. سأبحث في قصص غسان عن قصة تصور تشرد الحكيم في العام ١٩٤٨، فلا أجد.

وسأسأل نفسي: لماذا؟ فلا شك في أن حبش قص القصة على غسان غير مرة. وسأجتهد: ربما رأى غسان في تجربة الحكيم شبيهاً لتجربته هو، تجربته التي مر بها حين غادر وأهله عكا، ولقد عكس هنا التجربة في قصة "أرض البرتقال الحزين" إن لم تخني الذاكرة. فهل من ضرورة للتكرار؟ ربما تذكر المرء الحكيم، وهو يتابع فصول حياته، ربما تذكر المرء وهو يقرأ رواية غسان: "عائد الى حيفا".

وربما يكون العكس أصح، ففي سيرة الحكيم ما يذكر برواية غسان. زار سعيد. س حيفا، بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، وحاور ابنه خلدون الذي غدا (دوف) وأدرك سعيد أن العودة الصحيحة هي أن يعود منتصراً، لا من خلال تصاريح زيارة اسرائيلية، ولكي يتم ذلك، فلا بد من حرب ينتصر فيها الفلسطيني ليحاور الاسرائيلي من منطلق الند للند. ولم ير الحكيم في اتفاقات اوسلو ما يشجعه على العودة، العودة الناقصة.

انه يريد العودة الى اللد، لا الى رام الله فقط، وربما لهذا آثر البقاء في المنفى. هل مارس الحكيم بسلوكه ما أثاره كنفاني على لسان سعيد؟ ربما، بل أكاد أجزم.

آخر سجالات الحكيم

أزمة اليسار العربي ..إلى أين ؟....

د.جورج حبش - ٢٠٠٦/١٢/١٣

لا يمكن الحديث عن أزمة اليسار العربي ، وأسباب حالة الانكفاء والتهميش التي وصل إليها اليوم دون مراجعة تاريخ هذه الحركة ، والوقوف أمام أخطائها ومنعطفاتها على مستوى التكتيك والاستراتيجيا .

ولا بدّ أيضاً النظر إلى الموضوع من منظور تاريخي جدلي يدقق ويتفحّص الصيرورة التاريخية لحركة اليسار العربي ، وأهم المفاصل والمحطات التي مرّ بها ارتباطاً بالظروف الموضوعية والذاتية ،الداخلية والخارجية .

إن نظرة تقويمية لحركة اليسار العربي ، تفتح باب الأسئلة حول تجارب الأحزاب اليسارية العربية .

بجناحيها الشيوعي والماركسي القومي ، خاصة وأن كثيراً من القراءات لتجارب هذه الأحزاب باتت تسلّم بإخفاقها عن استيعاب ووعي حركة الواقع ، وبالتالي فشلها في تغييره .

كذلك لا نستطيع التحدث عن يسار عربي دون أخذ واقع التجزئة بعين الاعتبار ، فعدم إنجاز مسألة الوحدة العربية كرّس الواقع القطري ، الذي أفرز بدوره قوى يسارية قطرية طرحت على نفسها برامج ومهمات على مستوى قطري ، أما الأحزاب اليسارية ذات التوجّهات العربية القومية فقد وجدت نفسها عاجزة عن التأثير والفعل العملي على مستوى القضايا القومية ، وانحصر جهدها في المستوى النظري ، حول إشكاليات القومية والأمة ،والعروبة، والتجزئة ،والوحدة ، وقد كتب الكثير حول هذه القضايا من قبل مفكرين عرب يساريين ، وقوى وأحزاب ، لكن على الصعيد العملي تعمّق واقع التجزئة ، وتبخّر حلم الوحدة ، وتمزقت الهوية القومية إلى هويات جهوية مجزّأة، ولم تُنجز مهام التنمية والتحرر من التبعية للسوق الإمبريالية ، وتفاقمت المشكلات الاجتماعية التي عمّقت الفوارق الطبقية في المجتمعات العربية ، وانتشرت البطالة وتراجع مستوى التعليم والثقافة .... الخ، بمعنى آخر تجلّت أزمة اليسار العربي الذي ورث الأهداف التي طرحها " رواد عصر النهضة " في عجزه عن إنجاز أيّ من هذه المهام. لقد طرح رواد عصر النهضة العربية من خلال احتكاكهم في أوروبا وتمثل تجربتها ضرورة إجراء تحولات في الواقع العربي، تقوم على تحقيق التصنيع كأساس لتأسيس النمط الرأسمالي الذي يعني تدمير البنى الاجتماعية المتخلفة (الإقطاع)، وهذا يعني بدوره تمثّل الفكر الذي تبلور مع نشوء الرأسمالية أعني فكر العقلانية القومية، والديمقراطية، والعلمانية ، وعلى هذا الأساس أصبحت مهام التوحيد القومي والتحديث الفكري مهمات جوهرية ، لهذا احتلت مسائل فصل الدين عن الدولة ، وتأسيس الوعي القومي ، وشكل النظام السياسي مسائل أساسية داعبت أحلام النهضويين العرب ، وبدأت ملامح هذه المسألة تظهر مع محمد علي باشا في بداية القرن التاسع عشر ، لكن هذا المشروع هُزم نتيجة تحوّل الرأسمالية العالمية إلى إمبريالية ، وبذلك قطع الطريق على الصيرورة الطبيعية لنمو بلداننا ، مما ادخل مشروع التطور الرأسمالي في أزمة استمرت حتى أواسط القرن العشرين، حيث أصبحت الفئات الوسطى (الريفية بشكل خاص) أساس عملية التحويل التي طالت تدمير البنى القديمة (الإقطاع) وأسست لمحاولة بناء الصناعة كأساس للتحويل في إطار مشروع قومي يهدف إلى الوحدة العربية ، لكن تداخل مصالح الرأسمالية العالمية وتسابقها على نهب الدول المستَعمرة ومنها بلداننا العربية ذات البنى المتخلفة ، أوقع البرجوازية العربية في عجز منعها من إنجاز مهام التصنيع، التي استطاعت الرأسمالية في أوروبا إنجازها عبر تدمير البنى القديمة ، والنتيجة كانت عدم تحقيق أحلام النهضة ، وعجز البرجوازية عن إنجاز التصنيع الذي أدّى إلى تحوّلها إلى قطّاع التجارة والخدمات والمال والمرافق الاستهلاكية وابتعادها عن الصناعة ، وهذا ما انعكس على مستوى الوعي، والممارسة السياسية في تكريس الأزمات العميقة ، ممّا دفع بالفئات الوسطى والبرجوازية الصغيرة بعد تفاقم التناقضات إلى استخدام الجيش (المؤسسة المستقرة الوحيدة) كأداة انقلابية للوصول إلى السلطة في العديد من البلدان العربية، لكن هذا الخيار انقلب على أصحابه مع تطور التناقضات وانتشار الأوهام والوعي الزائف ، وهذا ما دفع القوى الماركسية التي تبنّت فكرة المشروع النهضوي في الثلاثينات، وخاصة في المشرق إلى أن تتراجع عن مقولاتها حول الوحدة القومية والاستقلال وآليات التطور ، والتنمية التي تضرب علاقة التبعية مع السوق الإمبريالية .

وكان عام ١٩٣٧ هو عام القطيعة مع هذه المهمات ، ومع تفاقم إشكاليات الواقع بدأت القوى الماركسية اليسارية تتبنى مقولات الماركسية السوفيتية التي نتجت عن "الكومنترن" ، ومنها الموقف من قرار التقسيم عام ١٩٤٧ الذي ترك ردود أفعال سلبية كثيرة في الأوساط الشعبية، والسياسية العربية ،والفلسطينية تجاه موافقة الحركة الشيوعية على قرار التقسيم ، وأذكر في هذا السياق الحوارات الساخنة التي كنا نخوضها مع الشيوعيين في أوساط الجامعة الأمريكية في بيروت التي كنت طالباً فيها في تلك الفترة .

هذا الأمر خلّف شرخاً عميقاً في علاقات قوى اليسار وبشكل خاص بين الشيوعيين والقوميين، كان لها تداعيات سلبية كثيرة وكذلك كانت مقولة التطور اللارأسمالي .فيما بعد .التي راجت كثيراً في واقعنا في فترة من الفترات ، موضع خلاف لأنها جعلت القوى اليسارية ملحقة بالسلطات البرجوازية الهجينة الحاكمة في العديد من البلدان العربية ، حيث بدأت الدول العربية المستقلة حديثاً عن الاستعمار في الخمسينات تتطور كل منها حسب ظروفها الخاصة ، وطبيعة الأنظمة الحاكمة فيها ، التي وجدت مصالحها تكمن في تكريس مشاريع سياسية واقتصادية تخدم الطبقة السياسية الحاكمة الحديثة ، أكثر من خدمتها لتحولات اقتصادية ،واجتماعية جذرية على المستوى الوطني والقومي ، وهذا الأمر ترجم نفسه بالإثراء السريع للطبقة السياسية التي استفادت من نفوذها في الحكم حيث انتشر الفساد ، والمحسوبيات التي وسمت تلك المرحلة في معظم البلدان العربية ، وهذا ما نعنيه بتكريس واقع التجزئة من الناحية العملية ، لأن التطور بات يجري وفق صيرورات قطرية ضيقة ، بمعزل عن المصالح القومية العليا للأمة العربية ، مما عمّق الشرخ والحدود الفاصلة بين البلدان والشعوب العربية ... وصولاً إلى المرحلة المتردية التي تعيشها المنطقة العربية الآن ، بعد احتلال العراق وتفاقم الأوضاع في فلسطين ، والتهديدات العسكرية الأمريكية المباشرة للبلدان العربية التي أعادت المنطقة إلى مرحلة الاستعمار . إن شمولية الموضوع ، وتعقيداته تحتاج بالتأكيد إلى دراسات تحليلية معمقة في الفكر السياسي اليساري العربي وتجاربه ، للإجابة على هذه الأسئلة المتشعّبة ، إذ

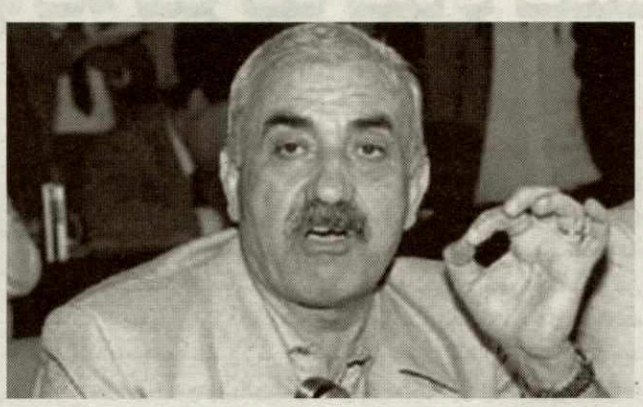

من الصعوبة بمكان الإحاطة بهذا الموضوع الشائك حول دور اليسار العربي من خلال مقالة كهذه ، مع ذلك سنحاول قدر الإمكان مقاربة الموضوع بتكثيف تصوّر شامل للمسألة بأبعادها الداخلية والخارجية .

إن مسألة وعي الواقع كإشكالية ، تفرض علينا مناقشة الرؤية ، أو الرؤى التي استند إليها اليسار العربي ، وتفحّص مشكلاتها ، ليس على المستوى النظري فحسب ، وإنما على مستوى القضايا العملية التي طرحها الواقع ذاته ، والمهمات والبرامج التي انبثقت عن هذه القضايا ، كي تفضي إلى وسائل حلّها وتجاوزها ، وأعني هنا مسائل القومية : الاستقلال ، التجزئة ، التحرر ، الوحدة ، التنمية وأفق التطور الاقتصادي، والاجتماعي العربي ، والمهمات الأخرى التي يحددها الواقع العربي بتعييناته ، على اعتبار أننا لا زلنا في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي وخاصة في فلسطين والعراق ، حيث يفرض علينا واقع الاحتلال مهمات إضافية أساسية تتعلق بمواجهة الاحتلال ودحره .. مثل هذه المهام تتطلب أوسع مشاركة شعبية ، من قِبل جميع القوى الاجتماعية والطبقية الفاعلة ، التي عليها أن تنتظم في أطر جبهوية عريضة ، هي الصيغة الأكثر فعالية لإنجاز مهام الثورة الوطنية الديموقراطية ، التي يندرج ضمنها مواجهة الاحتلال ، والتحرر من التبعية ومحاربة التجزئة ، والوحدة، وإنجاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكل هذا يجب أن يرتبط بفهم عميق لمسالة الديموقراطية التي تتجاوز مسألة الحريات السياسية فحسب ، إلى مسألة تحصين البلدان العربية ضد التهديدات الخارجية المحتملة من خلال الإصلاح الداخلي الذي يستدعي أوسع صيغ التحالف الوطني العريض ، والمشاركة الشعبية في القرار السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي الفاعل ، الذي يعني ضمناً إعادة المجتمع إلى دائرة الفعل ، بعد أن غُيّب طويلاً .

السؤال الذي يطرح نفسه دوماً في هذا السياق : لماذا أخفقت البرامج التي طرحها اليسار العربي في تحقيق التحولات المطلوبة على أرض الواقع ؟! ولماذا لم يصبح اليسار العربي قوة تغيير حقيقية ؟! ولماذا بدأ هذا اليسار بالضعف بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية ؟!

أعتقد أن أهم المشكلات التي أدّت باليسار العربي إلى أزمته ، وبالتالي إلى عدم إنتاج وعي مطابق لحركة الواقع العربي ، هو اعتماده بالدرجة الأولى على استعارة مقولات نظرية جاهزة ، أنتجتها الأحزاب الماركسية العالمية... وإسقاطها على واقعنا ، دون النظر في متطلبات هذا الواقع وإشكالياته . وذلك على اعتبار أن هذه الأحزاب قد حققت في حينه بعض الانتصارات والتحوّلات في بلدانها ، ثم تبيّن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية ، أن هناك ضرورة لإعادة النظر في كل التجربة الاشتراكية ودراستها ، خاصة وأن أصوات كثيرة تعالت بعد ذلك معلنة " موت الماركسية " . لكن السؤال : أية ماركسية هي التي ماتت ... هل هي ماركسية ماركس وانجلز ؟! أم الماركسية .اللينينية ؟! أم الماركسية الستالينية التي تعبّر عن الحقبة السوفيتية ؟! وما هي العلاقة بين الأنظمة الشيوعية التي تداعت وبين فكر ماركس ؟!

إن السمات السلبية التي رافقت تجربة البلدان الاشتراكية ، لم تنجُ منها أيضاً بعض الأحزاب الشيوعية واليسارية التي لم تصل إلى السلطة ، بما في ذلك الأحزاب اليسارية العربية، وبالتالي بات من المشروع السؤال عن علاقة هذه السلبيات التي طبعت الأحزاب الشيوعية واليسارية عموما بطابعها ، وبين التراث النظري الماركسي باعتباره مرجعية تلك الأحزاب .

لقد سال الكثير من الحبر في نقاش تلك الأسئلة المحورية ،وقد اختلف المفكرون الماركسيون واليساريون عموماً حول تقييم هذه المسألة ، ومن جهتي، يهمني التأكيد في هذا السياق : إن انهيار الأنظمة الشيوعية التي كانت نتاج النظام الستاليني الشمولي ، لا يعني أن البديل هو الديموقراطية البرجوازية أو الليبرالية الجديدة كما يدعو البعض ، بل إنّ البديل الحقيقي هو الديموقراطية الاشتراكية التي تعني ضمناً ليس الديموقراطية السياسية فحسب ، بل الديموقراطية بمفهومها الأوسع والأشمل، وبأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهذا ما كانت تفتقده تجارب بلدان المنظومة الاشتراكية . إن الديموقراطية الغربية أو الليبرالية الجديدة ، ستظل خادعة طالما أنها لم تتحْ حيزاً واسعاً للاعتراف بالمنتجين كفاعلين سياسيين على مستوى الرقابة والقرار ، وبالتالي سوف تظل ديمقراطيتها ناقصة وشكلية .

إن تطور العولمة في صيغتها الأكثر وحشية " الأمركة " خلق نوعاً من الحراك الاجتماعي الجديد على مستوى العالم ... وقد بدأت حركة العولمة البديلة التي تضم في داخلها على المستوى العالمي أطيافاً واسعة من القوى والأحزاب اليسارية، وحركة أنصار البيئة، وهيئات المجتمع المدني ، تناضل بأشكال مختلفة من أجل بلورة صيغ فاعلة للمواجهة ، لكن للأسف ، لا تزال القوى الاجتماعية والحركات السياسية وهيئات المجتمع المدني في بلداننا العربية عاجزة أيضاً عن الانخراط في الحركة العالمية المناهضة للعولمة والأمركة .. لأنها لا تزال جنينية وغير متبلورة بشكل كاف لتقوم بالجهد المنوط بها في سياسة هذه الحركة العالمية.

اليسار والوحدة العربية

شغلت قضية فلسطين والوحدة العربية حيّزاً هاماً من اهتمامات الحركة الشيوعية العالمية (الكومنترن)، والحركة الشيوعية المحلية منذ أواخر عشرينات القرن الماضي، وإذا عدنا إلى الوثائق الصادرة عن كونفرنس مشترك جرى بين الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني عام ١٩٣١ ، وخاصة الوثيقة التي نُشرت بعنوان " مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية " سوف نذهل لمدى مقاربة التحليل الماركسي الثوري الذي تنطوي عليه هذه الوثائق ، لنبض الشارع العربي آنذاك ، رغم بعض الأخطاء في تشخيص (طبيعة الحركة والطبقات الاجتماعية) " لقد اتخذت الأحزاب الشيوعية في فلسطين وسورية ومصر ، سنة ١٩٢٩ وبعدها بناءً على توجيهات الكومنترن وتحت قيادته ، موقفاً واضحاً لا لبس فيه ولا تحايل ، في النقطة الجوهرية : تأييد الحركة القومية الرامية إلى الاستقلال والوحدة القومية .المعادية للإمبريالية .ضد الحركة الصهيونية .. الحليفة المتقدمة للقوى الإمبريالية وأداتها في المنطقة العربية " .

لقد ميّز لينين تمييزاً صارماً بين القومية المظلومة والقومية الظالمة ، وفرض على الأحزاب الشيوعية في أوروبا تأييد الأولى وشجب الثانية ... وقد أكدّت أدبيات تلك المرحلة " أن الوحدة العربية وقضية فلسطين هما قضيتان من قضايا النضال العالمي المناهضة للإمبريالية ، من قضايا الثورة الاشتراكية في العالم . أنهما القضيتان النوعيتان للنضال المناهض للإمبريالية في الوطن العربي ، وقد درج الماركسيون على القول أنهما فرع من الكل ... " .

إن هذا الموقف الواضح من قضيتي فلسطين والوحدة العربية ، هو تجلٍ للعلاقة بين الخاص والعام بين قضيتي الوحدة وفلسطين والنضال العنيد ضد الإمبريالية العالمية، الذي تجسّد بشكل خاص في واقع الفترة التي تبنّت فيها الحركة الشيوعية العالمية والمحلية قضية الوحدة وفلسطين بشكل لا لبس فيه ، لأن تلك الفترة كانت فترة صدام كبير بين الاتحاد السوفيتي، والأممية الشيوعية من جهة، وبين العالم الرأسمالي الإمبريالي في ظرف الأزمة الاقتصادية العالمية وبناء الاشتراكية السريع في الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى . ولقد تغيّر هذا الموقف مع تطور الأحداث و تغيّر الظروف ، إذ بدأت الأحزاب الشيوعية تُغيّر مواقفها هذه كانعكاس لتغيير مواقف الكومنترن ، من هذه القضايا ، رغم أن الإمبرياليات العالمية قد عملت بشكل حثيث على تمزيق الجسد الحي للشعوب العربية ، وأبقت الدول العربية في حالة من التجزؤ الإقطاعي ، وحرمت هذه البلدان من مقومات التقدم والنمو الاقتصادي والسياسي المستقل ، وكذلك عملت على تجميد ديناميات التوحيد القومي السياسي وخلق الحدود للبلاد العربية ، وساعدت على زرع الكيان الصهيوني في فلسطين قلب الوطن العربي ، وهكذا تحوّلت البلدان العربية حتى بعد استقلال بعضها إلى ملحقات دول المتروبول، دولاً مستقلة شكلياً إلا أنها تابعة للسوق الإمبريالية من الناحية الفعلية (زراعية ومنتجة للمواد الخام) ، وهذا ما أفضى إلى بطء تشكّل طبقات المجتمع الرأسمالي ونمو عناصر السيادة القومية التي راحت تنمو بشكل عشوائي وغير منتظم ، وهذا ما سهّل التحالف بين الإمبريالية التي كانت تعمل على تأمين مصالحها ونهب شعوبنا ، وبين القوى الإقطاعية الرجعية العربية و الكومبرادورية التي سيطرت على السلطات في البلدان العربية، وجعلتها قواعد لسياسة الاغتصاب الإمبريالية العدوانية .

هذا الوضع خلق نقيضه فيما بعد ، مع عملية المد العربي التحرري ، وبدأت الطبقة العاملة الناشئة حديثاً وأحزابها ونقاباتها بالإضافة إلى حركة الفلاحين والبرجوازية الصغيرة تلعب دوراً فاعلاً في هذه العملية التحررية وقادت الأحزاب اليسارية بجناحيها الشيوعي والقومي الماركسي، بالإضافة إلى قوى اليسار الأخرى هذه العملية ، التي انضوى بعضها ضمن أحزاب الاشتراكية الدولية ، ومن هنا صار علينا أن نميّز ما بين أجنحة قوى اليسار، وأدوارها حسب الأحداث، والمراحل التاريخية التي مرت بها ، وبين القوى اليسارية الأكثر راديكالية والتي تبنّت مواقف وسياسات أكثر استقلالية ، لكن هذه القوى ظلت أيضاً عاجزة عن تحويل برامجها إلى إنجازات فعلية على أرض الواقع، وعاشت بالتالي أزمة من نوع جديد هي أزمة عدم القدرة على الفعل في الواقع ... وعلى المستوى الفلسطيني تعتبر حركة فتح بهذا المعنى ضمن اليسار الاشتراكي الدولي ... وكذلك حزب العمل الإسرائيلي ، ومن المعروف أن الاشتراكية الدولية وأحزابها لا تختلف في الغرب عن البرجوازيات الحاكمة إلا ببعض البرامج الاجتماعية الإصلاحية ، وهي تضم طيفاً واسعاً من القوى غير المتجانسة ... ومن هنا لا يمكن أن ننظر لليسار الإسرائيلي إلا باعتباره يساراً صهيونياً معادياً لمصالحنا الوطنية والقومية ، عمل على تنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين طوال العقود الماضية ، كذلك نجد أنفسنا على خلاف مع الكثير من أطروحات يسار فتح أبو عمار الذي ينضوي أيضاً ضمن حركة الاشتراكية الدولية ، ويجسّد عملياً مصالح الفئات البرجوازية الفلسطينية التي استفادت بعد أوسلو من السلطة وحوّلتها إلى أداة للفساد، و المحسوبيات، والإثراء السريع وغير المشروع للفئات المستفيدة منها على حساب مصالح شعبنا الذي يواجه أعتى أشكال الاحتلال التي أفرزها عالمنا المعاصر ، وهو الاحتلال الصهيوني الاستيطاني الذي يريد أن ينفي شعباً بأكمله ويحل مكانه على أرضه وثرواته وتاريخه ... وإذا عدنا إلى نقطة البدء ، نرى أن إشكاليات الواقع ... تقتضي على ضوء المنهجية الجدلية التاريخية إعادة النظر في الكثير من القضايا وتحليلها تحليلاً معمقاً للوصول إلى وعي مطابق لإشكاليات الواقع يفرز على المستوى النظري برامج للخروج من هذه الأزمة المستعصية ، وعلى المستوى العملي التكتيك الملائم لإنجاز مهام تلك البرامج، وهذا يقتضي من اليسار العربي والفلسطيني مراجعة كاملة لكل المناهج والبرامج والمهمات المطروحة علينا، للخروج بفهم جديد يعيدنا إلى دائرة الفعل المؤثر في حركة الواقع .. على مستوى الاستراتيجيا والتكتيك الصحيح الملائم لظروف المرحلة الراهنة . المطلوب فتح أوسع حوار بين أجنحة اليسار العربي ، لإعادة تحليل وتركيب كافة القضايا التي تواجه واقعنا العربي ، من أجل نهوض حركة اليسار العربي مجدداً ... ومن جهة أخرى تقتضي الأزمة المستعصية في الواقع العربي عموماً فتح باب الحوار أيضاً بين مختلف التيارات والحركات الفاعلة على اختلاف مشاربها الفكرية والأيديولوجية : الماركسية، والقومية، والإسلامية المتنورة ، إذ رغم الاختلاف على المستوى الإيديولوجي مع التيار الإسلامي فنحن نميّز بين التيار الإسلامي المقاوم، وبين التيار الظلامي الاستئصالي التكفيري الذي يرفض الحوار ويعتبر نفسه البديل المطلق لكافة التيارات الأخرى الفاعلة في الواقع العربي للمشروع الإمبريالي الصهيوني

جورج حبش.. نموذج القائد الأكثر صفاء

فهد سليمان
عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

في حضرة الشهادة وفي مقام تكريم الرحيل لقامة تاريخية عقدت لها القيادة على تقاطع الوطني مع القومي في منطقة لم تشفى شعوبها بعد من الجرح الغائر لسايكس بيكو الذي شلعها إلى دول وشعوب..

وأمام تجربة نضالية وقفت، ومن موقع المسئولية، امام خيارات صعبة.. تجربة تعود إلى ستة عقود مضت..

يصعب الكلام عن د. جورج حبش بطموح الإحاطة بكل أو حتى بمعظم جوانب الموضوع شخصاً وتجربة..

فنحن أمام تجربة زاخرة.. الفرد فيها جزء من حركة التاريخ.. بمدها وجزرها..

فما بالك بقائد مؤسس لحركتين إحداهما لعبت دوراً مؤثراً في المدى القومي.. والثانية مازالت تضطلع بدورها المتقدم في المجال الفلسطيني..

وقد يعترض البعض على فصل يعتبره تعسفياً بين هذا المدى وذاك المجال، إنطلاقاً من صعوبة الفصل أو تعذره بين قضايا متداخلة في مشرق لم تلغِ التجزئة فيه الواقع الموضوعي لمشتركاته، هذا إن لم يكن لوحدته..

وهو ما ينطبق، من باب أولى، على الحالة الفلسطينية، شديدة التداخل بمحيطها، تؤثر فيه كما تتأثر به..

ولعل د. جورج حبش هو نموذج القائد الأكثر صفاءً في إنشداده إلى هذه المعادلة بانسجام حديها وتناقضهما معاً.

لقد كان فلسطينياً في قوميته وقومياً في فلسطينيته..

ليس بالمعنى الدارج منذ حرب الـ٦٧ الذي ينطلق من إستقلال النضال الوطني التحرري الفلسطيني ليثمر ما يواشجه مع محيطه..

بل بالمعنى العضوي والسياسي المباشر الذي يتعاطى مع ملف الصراع العربي – الاسرائيلي ببعده الشامل، لكن إنطلاقاً من بؤرته المركزية: فلسطين.

ومن هنا شعار السهم المتجه إلى فلسطين الذي يرمز، على الأرجح، إلى هذا البعد في الفكر السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وبما أنه يصعب في هذا المقام الكلام عن د. جورج حبش بالمستوى الذي يستحقه حقاً وتاريخاً..

سيتم الإكتفاء بإشارات سريعة إلى بعض جوانب فكره وتجربته التي تشكل إحدى عناوينها الرئيسية – بلا شك – موضوعة الجماهير المعبأة والمنظمة التي هي وحدها صانعة التاريخ، وهي الأساس في معركة التحرير..

وفي هذا إستعادة حرفية لما كان يتردد على لسانه وفي كتاباته دون كلل..

وفي ظني أن آخر أجمل هدية تلقاها فقيدنا الكبير، قبل أيام قليلة من رحيله، هي تلك التي تمثلت بالموجه الجماهيرية العاتية التي إجتاحت جدار معبر الإذلال والحصار في رفح..

هذا العنوان شكل أحد المحاور الرئيسية للفكر السياسي وللممارسة النضالية لجورج حبش الذي استخلص في شبابه المبكر العبرة الرئيسية من ثاني تجاربه السياسية بعد تجربة نادي «العروة الوثقى» في مرحلة الدراسة الجامعية..

وأقصد بذلك تجربة «كتائب الفداء العربي» الفاشلة التي قامت على العمل الصدامي المباشر للفرد بمعزل عن حركة الجماهير المعبأة والمنظمة..

لقد بقي هذا العنوان، عنوان الجماهير المعبأة والمنظمة ملازماً لفكره وممارسته في مجرى تشكل حركة القوميين العرب، إن في مرحلتها القومية الصرف، أو في مرحلة تلمسها وتبنيها للبعد الإجتماعي في النضال القومي، الذي وضع الإشتراكية إلى جانب الوحدة والتحرير..

وكذلك في مرحلة الإلتحام بالناصرية التي إعتبرت حركة القوميين العرب نفسها بمثابة حركتها الجماهيرية المنظمة في المدى العربي، مشرقاً وخليجاً بالتحديد..

وكان أن إنتقل هذا العنوان، عنوان الجماهير المعبأة والمنظمة بحكم الإرث والتواصل النضالي إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ليكون أحد أبرز محاور عملها وليشكل مع الكفاح المسلح في إطار برنامج التمسك بالثوابت الوطنية، أحد العوامل الرئيسية لإقامة وإدامة النفوذ السياسي لهذا التنظيم الرئيسي في صفوف الحركة الفلسطينية..

وايضاً في بعض جوانب فكر الحكيم وتجربته النضالية نشير إلى الموقع المحوري الذي إحتلته الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار م.ت.ف. التي لم يطعن أبداً بمكانتها التمثيلية حتى في أشد مراحل معارضته لخط قيادتها المتنفذة..

وفي ظني ما يستحق التأمل هو جدلية التحالف والخلاف (وصولاً إلى الإفتراق المؤقت أحياناً) في الفكر السياسي لجورج حبش نظراً لما يمكن أن يستخلص منها من الزاوية التالية:

إن معارضته السياسية الحازمة لما كان يعتبره خروجاً عن الثوابت أو مساساً بها كانت تمضي بعيداً، وبعيداً جداً، لكنها – في الوقت عينه – كانت تحجم عن الإنقسام وإلحاق الأذى بالمؤسسة الأم أي منظمة التحرير، وكانت تربأ بنفسها اللجوء لاستخدام أسلوب الإنقلاب عليها..

لقد كانت معارضته قاسية ولم ترتدِ يوماً قفازات مخملية، لكنها في نقطة ما من مسارها كانت تستدير لملاقاة شروط تجديد الوحدة الوطنية في إطار منظمة التحرير وتحت رايتها..

في فكر فقيدنا الكبير إنحكمت جدلية اللقاء والإفتراق إلى سقف الوحدة، فهي المرجعية والإطار بقواسمها المشتركة وتسوياتها،

نعم تسوياتها وتنازلاتها المتبادلة.. ولعل هذا ما نحن أحوج ما نكون إليه في الظرف الصعب الذي تجتازه مسيرتنا الوطنية..

فالخلاف على أنابوليس نضعه خلف الظهر، لأن الراهن والمباشر هو المسار الفعلي للمفاوضات التي كانت الحكومة الحادية عشرة، حكومة الأئتلاف الوطني برئاسة اسماعيل هنية، قد وافقت وبملء إرادتها، على إحالة مسئوليتها ومسئولية إدارتها إلى اللجنة التنفيذية ورئيسها..

وباعتقادنا، أن النقطة المفصلية المطروحة على هذا الصعيد ليست الموافقة على المفاوضات من عدمها، بل الإتفاق على شروط إستمرارها أو تعليقها فقطعها..

فهل نقبل بمفاوضات يديرها العدو تحت النار، نار الاستيطان والتهويد والحصار والعدوان، أو.. نقطعها إلى أن ينقطع سيل العدوان والإستيطان..

وهل نقبل باستمرار مفاوضات يديرها العدو بشروطه التي تحدد مسبقاً نتائجها المتعاكسة تماماً مع حقوقنا الوطنية..

هذه هي المسألة التي تحتاج إلى رأي واحد وقبضة موحدة..

وكذلك الخلاف على من تؤول إليه الولاية على معبر رفح نضعه خلف الظهر لصالح الإتفاق على تلك الصيغة التي تفتح أبواب القطاع المحاصر ليس على مدينتين شمال سيناء للتبضع، بل على العالم بأسره..

والتي تفتح أبواب غزة على الضفة وأبواب الضفة على غزة.. فمؤامرة فصل الضفة عن غزة لا تقل خطورة عن فصل القطاع عن العالم..

لا بل أنها، في واقع الحال تتجاوزها خطورة، لأنها تسعى إلى استبدال مخطط تطويع القطاع البطل الذي لم ولن يركع، بمخطط مصادرة الكيانية الوطنية المستقلة على عناوين تعيد عقارب الزمن إلى ما قبل حرب الـ٦٧،

وهذا بدوره لن يقع بالإرادة الفلسطينية الملتقية مع الإرادة العربية..

إن هذه المسائل وغيرها تندرج تحت عنوان واحد هو الإنقسام الفلسطيني الذي ينذر استمراره بانعكاسات شديدة السلبية على الحالة الفلسطينية والنضال الوطني عموماً..

من هنا الدعوة إلى الحوار الوطني الشامل، فمن ينشد الخلاص الوطني لا خيار أمامه سوى هذا الخيار..

وهو الخيار الذي بقي فقيدنا الكبير متمسكاً به، داعياً له.. وأمامه أحد جدران غزة ينهار بفعل ضغط الجماهير المعبأة والمنظمة.. وكله أمل وثقة بأن هذا سيكون مصير جميع الجدران والأسوار التي تحجب شمس الحرية والإستقلال عن الوطن..

فإلى شعبنا الفلسطيني نتقدم بأحر التعازي.. قبل أن نتقدم بها إلى رفاق الدرب في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وإلى منظمة التحرير..

فالقامة التاريخية السامقة وان رحلت،

ستبقى حيّة بما قدمت،

خالدة بما زرعت..

والسلام عليكم

كم حكيم لنا حتى ترحل أيها الحبيب؟

الاسير اللبناني سمير القنطار

"رفيق جورج... كم كان وقع الخبر ثقيلاً هنا في هداريم، حيث لخبر الموت طعم آخر.

كم «حكيم» لنا حتى ترحل أيها الحبيب؟ من سيصلح ذات البين في غيابك؟ وأنت القلق دائماً على مسار الوحدة الوطنية الفلسطينية التي ما شهدت انحرافاً ولا عبثاً وتقسيماً مثلما تشهده اليوم.

من سيكون حاضراً مع آلامنا؟ وأنت الذي حملت راية الدفاع عن الأسيرات والأسرى وحفظت جيداً «شيفرة» فك الأصفاد التي كتبها سجين على حائط أقبية المخابرات الأردنية في سجن العبدلي.

هل أخبرك عن أحمد؟ هذا الذي تسلّم الأمانة من الشهيد أبو علي مصطفى. أحمد الذي التحق بنا في سجن الصهيونية، هل أخبرك عن عبد الرحيم؟ هذا الذي عانقنا قبل أشهر عائداً إلى السجن الكبير في رام الله، مصرّاً على أن نحفظ له سريره في هداريم لأنه لن يطيل الغيبة!

هي القصة نفسها يا جورج نعيد قراءتها ونحفظها عن ظهر قلب. قصة «الثورة التي قامت لتحقق المستحيل لا الممكن».

من يبحث عن المستحيل اليوم يا جورج؟

اليوم أفضل الممكن أن يهللوا لمجرم الحرب بوش، أن ينتشوا فرحاً لرقصة السيف المقزّزة في البحرين، لخيمة المضافة المذلّة في الإمارات، لوسام الشرف المفقود في السعودية. اليوم أفضل الممكن أن نكسر جدار الجوع في رفح. أن نفرح للحصار بدل أن نحزن. حصار غزة الذي رغم بشاعته وقسوته وعنصريته وجبانته كان الترياق الذي أوقف سم التقاتل الداخلي والشتم الذي لا يتوقف عبر الفضائيات، وأعاد الأمل بجمع الشمل ولقاء الإخوة في السلاح والأعداء في تقاسم سراب السلطة. جورج ليكن غيابك محطة لحماية كل الثوابت التي أفنيت أجمل سنوات عمرك من أجلها. فلسطين الدولة الحاضنة لكل أبنائها في الوطن والشتات وعاصمتها القدس عروس المدائن وقبلة الأحرار. المقاومة خط ونهج ومسيرة كفاح لكل الثوار في فلسطين ولبنان والعراق وعلى امتداد العالم. التكاتف والتلاحم والصدق والوفاء والشجاعة في مواجهة قوى الأعداء، وقوى الإمبريالية العالمية، وقوى الاستسلام. سلاماً لك ولكل الشهداء...

أنت قلت «الثوريون لا يموتون». نعم، أنت على حق. الثوريون يحتلون كل الأمكنة في أزقة المخيمات، في معسكرات التدريب، في أقبية التعذيب، يحيون هناك في الوادي الذي لن يبقى فيه غير حجارته. جورج... الآن نطفئ كل الشموع ونستودعك. سنبكي لأن بسمتك الدافئة لن تستقبلنا يوم حريتنا".

جورج حبش: نموذج القائد الديمقراطي الوحدوي

بقلم: د. فيحاء عبد الهادي

«إن شعباً يعشق الحرية كشعبنا، عرف درب الوطن، وتعلّم كيف يصون أرضه ويموت كالأشجار لا يركع، لقادر على تحقيق الانتصار، طال الزمان أو قصر».

د. جورج حبش

حين يذكر القادة العظام عبر تاريخ فلسطين؛ يبرز اسم حكيم الثورة الفلسطينية: جورج حبش، وحين يجري الحديث عن أهمية ربط النظرية بالممارسة الكفاحية؛ يعلو صوت الحكيم: "لا حركة ثورية دون نظرية ثورية"، وحين يذكر تواضع المفكرين الثوريين؛ يذكر تواضع القائد التاريخي، وحين يقتتل الإخوة وتقصر قاماتهم؛ تطول قامته. وحين نفتقد شهداء الوطن ونبكيهم؛ نفتقدك ونبكيك أيها القائد المعلّم.

يا من قدّست الحياة، في اللحظة نفسها التي قدّست فيها الشهادة في سبيل الحياة:

"إن كان للحياة معنى، ففي الشهادة تكمن أعمق المعاني. وإذا كانت الحياة بحلوها ومرّها تستحق أن تعاش حتى الرمق الأخير، لأنها تأتي مرة واحدة وتذهب للأبد، فهذا يضفي عميق المعاني والدلالات على التضحية والشهادة، ويكسب الشهداء والذين يقدمون أرواحهم قرباناً للوطن كل القدسية والاحترام".

آمن د. جورج حبش بأن التاريخ لا يتكرر؛ بل يتطوّر، وأن التطوّر لا يتمّ إلاّ بوعي لطبيعة التطوّر، والتقاط لطبيعة اللحظة التاريخية؛ الأمر الذي جعله يؤسس "حركة القوميين العرب"، أواسط الخمسينيات، ويشكّل خلايا في الأردن، وليبيا، والسودان، واليمن بشطريه، وبعض بلدان الخليج العربي، والأمر الذي جعله يعتنق الاشتراكية العلمية، هادياً ومرشداً لتنظيم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، عام ١٩٦٨م.

شكّل الكفاح المسلّح هاجساً رئيساً لدى "الحكيم"، منذ تأسيسه لحركة القوميين العرب، حتى تأسيس "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين". تطوّر الفكر والشعار، فمن: "دم حديد نار"، إلى "الفكر يوجّه السلاح"، مؤمناً أن الكفاح المسلّح هو أرقى أشكال النضال، في مواجهة العدو الصهيوني. متميّزاً عن غيره من القيادات السياسية، بربط القضية الفلسطينية ببعديها القومي والأممي.

عمل "الحكيم" مع الجماهير ومن أجلها، مؤمناً بدورها كصانعة لتاريخها: "إن الجماهير المنظمة والمعبأة هي وحدها صانعة التاريخ، وهي الأساس في معركة التحرير". "علينا أن نستند إلى قوة الشعب وطاقاته الكفاحية، وطريقنا إلى ذلك، تبدأ بالموقف الوطني الحازم، بتعبئة طاقات الشعب، والحفاظ على مكتسبات ثورته ومنظمته، وبشكل خاص في الحفاظ على وحدته الصلبة والراسخة".

أما حسّه النقدي، فقد تجلّى في ممارسة النقد والنقد الذاتي، ليس كمبدأ يتغنى به، أسوة بالكثير من القيادات السياسية؛ بل كمبدأ يترجم واقعاً، داخل الهيئات القيادية، وخارجها. وأكبر مثال على ذلك:

مراجعة أسلوب "خطف الطائرات"، ووقف العمل به، إثر النقاش المعمّق، الذي أثير في المؤتمر الوطني الثالث للجبهة، الذي انعقد في آذار ١٩٧٢، وصدر ضمن وثيقة "مهمات المرحلة الراهنة": "استنفدت هذه الوسائل أغراضها، وأدّت وظيفتها. قررنا وقف هذا النمط من العمليات".

لم يخش الحكيم انفضاض الجماهير عن تنظيم الجبهة، بسبب المراجعة النقدية؛ بل آمن بأن النقد هو سلاح ذاتي يقوّم المسيرة الثورية؛ الأمر الذي جعله يدعو إلى مراجعة التجربة الفلسطينية، عبر محطاتها العديدة: "كيفية تعاملنا مع هذه الساحة العربية أم تلك، مع الحركة الوطنية التي أهملناها كلياً، فهمنا للعمل الوطني والقومي، للعمل السياسي والدبلوماسي من جهة، والعمل العسكري من جهة أخرى، تجربتنا العسكرية، المظاهر الاستعراضية، مشكلاتنا التنظيمية، الصراع الفئوي، التمثيل النسبي، الهيمنة والتفرد، القيادة الجماعية الغائبة، المنظمات الشعبية المفرغة والمهمشة والملحقة، الجوانب المسلكية والأمراض المستعصية التي علقت بجسم الثورة، كل هذا فضلاً عن النهج السياسي أولاً، وعشرات العناوين التي تبدأ بالأرض المحتلة والمشكلات الجدية الناشئة هناك، وتمرّ بالشتات الفلسطيني، وتنتهي بالأوضاع الداخلية للمنظمة، كل هذا بحاجة إلى مراجعة وتمحيص وتقييم، نحن متحمسون له، مستعدون لتحمل مسؤولياتنا على هذا الصعيد، ونطالب الآخرين، وتحديداً القيادة صاحبة القرار على هذا الصعيد، لأن تمتلك الجرأة وتجري مثل هذه المراجعة، التي سنشاركها بها حتماً".

تهزّنا كلمات الحكيم الصادقة، عام ١٩٨٧م، التي ما زالت صالحة حتى اليوم، وتدعونا إلى مراجعة تجربة الثورة الفلسطينية، وتقييمها سلباً وإيجاباً، دون خشية أو وجل؛ استجابة لنضال شعبنا الطويل وتضحياته، وإخلاصاً لقادة ملكوا الرؤية الثاقبة، والحس النقدي، والنفس الكفاحي الطويل.

آمن "الحكيم" بأهمية التغيير الاجتماعي، الذي يستلزم حشد طاقات نصف المجتمع المعطلة: طاقات النساء، وربط بين تحرير الوطن وتحريرهن؛ الأمر الذي جعله حريصاً على تكريس وجود المرأة، ضمن هيئات الجبهة كافة، وطرح قضية المرأة بعمق، منذ مؤتمر الجبهة الأول، وإفساح المجال أمام النساء، كي يتبوّأن أعلى المراتب القيادية في التنظيم.

وحين تخلّى د. "جورج حبش"، عن موقعه القيادي داخل التنظيم، في المؤتمر السادس للجبهة، عام ٢٠٠٠؛ قدّم مثالاً مميزاً للقائد الذي ينتصر لقناعاته الديمقراطية، عبر تخليه عن أعلى موقع قيادي، دون أن يتخلى عن التنظيم. كما قدّم مثالاً للقائد الذي يعنى بالفكر ويعطيه الأولوية، عبر إصراره على التفرّغ للكتابة، وتأسيسه مركزاً للدراسات والأبحاث، يعنى بتوثيق التجارب الكفاحية الفلسطينية والعربية ودراستها.

أبا الميساء، نحن في أمسّ الحاجة للاسترشاد بدعوتكَ إلى الوحدة الوطنية، في هذه الفترة السياسية المظلمة من تاريخنا، وبدعوتكَ إلى بلورة خط سياسي واضح، والتفرقة بين تسوية تجهض ثورة شعبنا الفلسطيني، وتسوية وطنية تحمل لشعبنا الاستقلال الوطني، وتكفل له حقوقه المشروعة غير القابلة للتصرف، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

أثّرت في تشكيل وعي مئات الآلاف، ممن عرفوك، وممن لم يعرفوك، ممن اتفقوا معك، أو اختلفوا معك، من عشاق الحرية. لم ترضَ أن تعيش في فلسطين، في ظل الاحتلال الإسرائيلي؛ لكنّ سيرتك الكفاحية، وإرثكَ الفكري، وسماتك الإنسانية المميزة، سوف تعيش خالدة، في ذاكرة شعبك وشعوب

■ بكلمات رثاء ممزوجة بالدموع، قالت ليلى خالد: "يوم حزين لنا وللأمة العربية وجميع أحرار العالم (...) يوم رحيل القائد الذي وهب حياته لوطنه وقضيته جورج حبش".

وتضيف "رحل لاجئا، ولم يزل يناضل لحق عودة كل اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم المغتصَب، وحتى النهاية لم ينفك يدعو لوحدة البيت الفلسطيني ونبذ الهرولة غير المدروسة إلى المفاوضات".

وتُعاهد خالد الراحل الحكيم بـ"المضي قُدما في مسيرة النضال والفكر التي خلفها وراءه، لأن الاستمرار على نهجه سيضمن للفلسطينيين ألا يضلوا الطريق".

■ ينعى المناضل الفلسطيني بهجت أبو غربية رفيقه في النضال جورج حبش، قائلا: "لقد عرفت المرحوم الحكيم منذ الخمسينيات، وناضلنا معا لسنوات طوال". ويضيف أبو غربية "كان للحكيم تاريخ نضالي عريض ومؤثر وفاعل، إذ استطاع إلى جانب نضاله لتحرير فلسطين تأسيس حركة القوميين العرب".

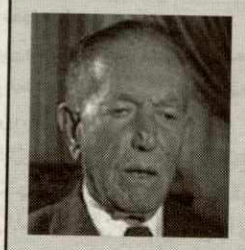

ويتمنى أبو غربية على الجبهة الشعبية "أن تتمسك بإرث الحكيم الراحل، وأن تبقى قابضة على جميع الثوابت الفلسطينية التي غرسها".

■ ويتحدث الأمين العام للجبهة الديموقراطية نايف حواتمة عن رفيق نضاله، قائلا "رحل الدكتور جورج حبش مناضلا فلسطينيا قوميا. رحل ولم تكتحل عيناه برؤية القدس عاصمة للدولة الفلسطينية الحرة".

وعن ذكرياته معه، يقول "جمعنا معا النضال القومي والوطني، فعملنا على تطوير النضال بعد أن تعلمنا من تجربة النكبة العربية الكبرى في ١٩٤٨ وما جرته علينا من وبال، فحاولنا توأمة التوجه القومي مع الوطني وطورناهما ليخدما مجموع الحركة الوطنية الفلسطينية".

ويعقب حواتمة "جمعتنا أيام النضال بحلوها ومرها، بنجاحاتها وإخفاقاتها. وإن كان كل رحيل حزين، فإنا نتمنى على الجبهة الشعبية الفلسطينية أن تمضي فيما أسسه الحكيم وحلم به طوال مسيرته".

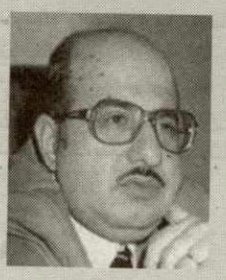

■ وبأسى بالغ يصف رئيس المجلس الوطني الفلسطيني سليم الزعنون الراحل الحكيم بـ"الرجل التاريخي العظيم"، مضيفا "لطالما كنا نتطلع إلى رأيه وصواب بصيرته في مجالسنا الوطنية وقضايانا كافة".

ويستذكر الزعنون "موقفا تاريخيا" للحكيم، قائلا "في أحد اجتماعاتنا الفلسطينية رفض الحكيم الاعتراف بأحد البنود، ولكنه لم يتعنت في رأيه بل قال: سأترك الحكم للأغلبية ولو أني أتوقع ألا يكون ذلك في مصلحتنا، وهو ما ثبت صحته فيما بعد ليسجل له هذا الموقف النبيل".

ويردف الزعنون "كلنا تثقفنا من نشرات الثأر التي كان يخطها الحكيم بيراعه في مصر عام ١٩٥٢، لقد كان حكيما ومثقفا بكل ما للكلمة من معنى".

وبملامح الفجيعة والوجوم التي ترتسم على وجوه المتواجدين الشبان في الحزب، تقول سلوى البرغوثي (٢٢ عاما) إن غياب جورج حبش هو "غياب الأب والقائد"، مضيفة "كنت أعوده في المستشفى كل يوم، وحينما توقف نبضه عن الحياة أطللت عليه، فكان بذات الهيبة التي وعينا عليها في صوره. عاش بطلا ومات بطلا".

مقابلة لم تنشر مع د.جورج حبش

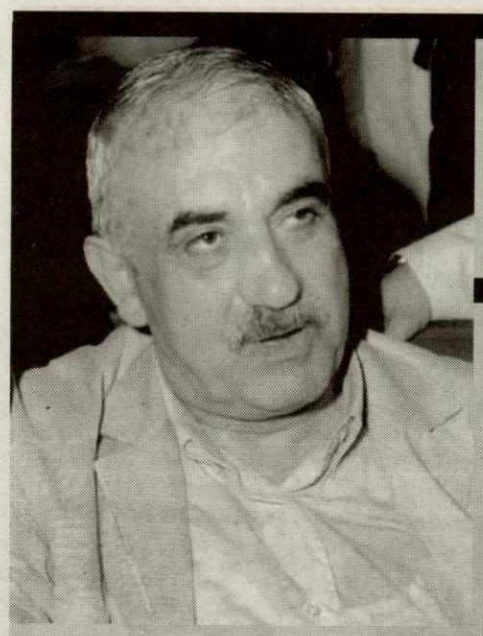

نقلا عن ٤٨ – قبل قرابة عامين، التقى عثمان تزغارت مطوّلاً الراحل الدكتور جورج حبش في مكتبه بـ«مركز دراسات الغد الفلسطيني» في دمشق. بقي هذا الحوار مع الدكتور جورج حبش غير منشور حتى اليوم...صحيفة «الأخبار» (اللبنانية) تنفرد بنشر هذه الوثيقة التي تضيء جانباً هاماً من فكر الراحل ومواقفه، وخاصة أن الحوارات الصحافية معه أصبحت نادرة جداً منذ الأزمة الصحية التي تعرّض لها في منتصف التسعينيات

الآن، مع مرور أربعين عاماً على بدء الكفاح المسلح الفلسطيني في ١٩٦٥/١/٨، حين تلقي بنظرة إلى الوراء، ما هو تقويمك لمنجزات المقاومة الفلسطينية خلال هذه المرحلة؟ وما هي الأسباب التي عطلت مسار التحرير حتى الآن؟

*** تحتاج الإجابة الموضوعية الدقيقة عن مثل هذا السؤال إلى مراجعة نقدية تحليلية لتجربة المقاومة الفلسطينية على مدار عدة عقود، بكل ما لها وما عليها، وهذا بالطبع ليس بالأمر اليسير، وخاصة أننا كنا أحد الأطراف الفاعلة في هذه الأحداث، سواء من خلال حركة القوميين العرب، أو من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبالتالي لا بد أن يتناول النقد العامل الذاتي، إضافة إلى العوامل الموضوعية الكثيرة، المتشابكة، والمؤثرة في لوحة الصراع على مدى تلك الفترة الزمنية المديدة.

لقد كانت انطلاقة العمل الفلسطيني المسلح، بمثابة ولادة جديدة للفلسطينيين بعد عقدين على نكبة فلسطين في عام ١٩٤٨، وقد سبق هذه الولادة إرهاصات وجهود سياسية كبيرة من أجل تعبئة وتنظيم كفاح الشعب الفلسطيني، وانطلاقا من إيماننا بقومية القضية، ووحدة النضال العربي رأينا آنذاك أن النضال الفلسطيني يندرج في إطار معركة شاملة تخوضها الأمة العربية بأسرها، لكون المشروع الصهيوني مشروعاً استيطانياً توسعياً لا يستهدف الفلسطينيين فحسب، بل الوجود العربي بأسره.

إن اقتلاع الفلسطينيين وتهجيرهم من أرضهم كانا الكارثة الكبرى التي لحقت بهم في عام ١٩٤٨، ومن ثم طُرحت مشاريع كثيرة مشبوهة لتوطينهم ودمجهم في البلدان التي استضافتهم، وخاصة في الأردن حيث شكل الفلسطينيون حوالي ٧٠٪ من سكانه بعدما ألحقت الضفة الغربية به.

لقد راهن العدو الصهيوني على عامل الزمن من أجل تذويب الهوية الفلسطينية، معتقداً أن هذا العامل سوف يدفع الفلسطينيين إلى نسيان بيوتهم وممتلكاتهم وقراهم ومدنهم التي هجّروا منها، لكن الإنجاز الأهم الذي تحقق مع انطلاقة العمل الفلسطيني المسلح، ليس فقط إثبات أن الشعب الفلسطيني متمسك بهويته الوطنية، التي لا تتناقض مع بعدها القومي، وإنما بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية أيضاً التي تمثلت في إنشاء م. ت. ف ككيان سياسي للفلسطينيين، له برنامج ومشروع سياسي عمّق مفهوم الوطنية الفلسطينية ملاحظاً (البرنامج) خصوصية وضعهم، مما جعل منهم عاملاً فاعلاً في الحقل السياسي الوطني الفلسطيني والقومي العربي على اعتبار أن المشروع الصهيوني يشكل عامل تهديد كما قلنا للوضع العربي برمّته، نظراً لطبيعته التوسعية العدوانية، ودعمه من قبل دوائر الإمبريالية العالمية.

حينما نقف أمام الأسباب التي عطّلت مسار التحرير حتى الآن، لا بد لنا أن نلاحظ شبكة العلاقات المعقدة التي أحاطت ولا تزال بالقضية الفلسطينية على المستويات المحلية والإقليمية والعربية والدولية، وهناك دون شك أسباب موضوعية وأخرى ذاتية حالت دون وصولنا إلى هدف التحرير، ولا سيما مع تغير موازين القوى الإقليمية والدولية التي لم تصب في مصلحتنا كحركة تحرر وطني وقومي، فالتجارب الوحدوية فشلت وبالتالي لم يتحقق شعارنا «الوحدة طريق تحرير فلسطين»، كذلك كان انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية، خسارة لحلفائنا على الصعيد العالمي، مما جعل الباب مفتوحاً أمام هيمنة القطب الواحد للولايات المتحدة. كذلك لا بد أن نلاحظ انهيار وتراجع الأنظمة العربية الوطنية، ومسيرة السادات ومضامينها منذ كامب ديفيد التي أخرجت مصر بكل ثقلها من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي هي دليل بارز على هذا الانهيار، وكذلك الضربات المتلاحقة التي تعرضت لها الثورة الفلسطينية في أيلول ١٩٧٠ في الأردن وفي لبنان عام ١٩٨٢... ضربات ومخططات استهدفت اقتلاعها من الجذور، وكذلك معاهدة أوسلو وما كان لها من تبعات. وفي السنوات الأخيرة كان الاحتلال الأميركي للعراق دليلاً آخر على هذا المنحى السلبي.

أما على صعيد العامل الذاتي، فلا بد أن نعترف أن الوحدة الوطنية الفلسطينية كائتلاف عريض للفصائل والقوى الفلسطينية المنضوية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية لم تتحقق فاعليتها بالشكل المطلوب. فالمسألة ليست وجود هياكل شكلية ومؤسسات للمنظمة (على أهمية وجودها) غير فاعلة، أو تتعطل فاعليتها وتتهمّش، ولا سيما في الظروف المفصلية التي مرت بها القضية الفلسطينية. لقد كانت النزعة الفردية التي تحكمت في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية أحد العوامل السلبية التي أثرت على مسيرة المنظمة، وهمشت فاعليتها في محطات مهمة من تاريخنا النضالي، كذلك ليس بالإمكان أن نغفل ضعف اليسار الفلسطيني، وعدم تمكنه من أخذ زمام المبادرة في العديد من المحطات الهامة كعامل من العوامل. وبالتالي، كل هذه الأسباب بتفاعلاتها كانت من الأسباب التي عطلت مسار التحرير حتى الآن.

• منذ نشأة المقاومة الفلسطينية اتخذت غالبية الفصائل طابع التنظيمات السرية، مما جعل أعمال المقاومة تتخذ شكل عمليات «كوماندوس» في الغالب، بينما غاب خيار التأسيس لحرب تحرير شعبية على غرار ما شهدته حركات التحرر عبر العالم. ما هي أسباب هذه الخصوصية الفلسطينية؟ وهل تعتقدون اليوم حين تنظرون إلى الأمور بأثر رجعي أن خيار تغليب عمليات «الكوماندوس» كان صائباً؟ وهل أدّى ذلك دوراً في تغييب خيار الانخراط الشعبي في المقاومة داخل الأراضي المحتلة الذي لم يتبلور سوى مع انفجار الانتفاضة الأولى، عام ١٩٨٧؟

*** إن وضعية التشتت هذه التي فرضت على الفلسطينيين الخضوع لظروف موضوعية متباينة من منطقة إلى أخرى، وبالتالي التعامل مع أنظمة حكم عربية متباينة، وتجاذبات دولية عديدة. هذه الوضعية خلقت صعوبات في التواصل بين التجمعات الفلسطينية، وخلقت إشكالية في العلاقة بين الداخل والخارج، وفرضت على الفصائل الفلسطينية شكل العمل السري في البدايات قبل أن تنتقل إلى العمل العلني. ولعل نكسة عام ١٩٦٧ وما فرضته من متغيرات هي التي دفعت إلى تغير استراتيجية التفكير. فقبل ذلك كان التصور السائد أن مهمة تحرير فلسطين لا تقع فقط على عاتق الفلسطينيين وحدهم بل هي من واجب الشعب الفلسطيني والقوى القومية العربية. وكان الحوار المحتدم بين فصائل العمل الوطني والأحزاب القومية العربية يجري حول البحث عن قاعدة إسناد قوية ترتبط في البعد القومي التقدمي العربي، وبالتالي يرتبط تحرير فلسطين بالوحدة العربية. إلا أن أحداث الـ١٩٦٧وتداعياتها لعبت الدور الأساسي في تغيير استراتيجية التفكير هذه، وبالتالي أصبح الشعب الفلسطيني هو المسؤول بالدرجة الأولى عن مهمة التحرير، مستنداً إلى العمق العربي بشكل عام. بيد أن هذه النقلة الفكرية التي حدثت في حينه لم تطل مرتكزات أساسية في فكرنا السياسي، أقصد المسألة المتعلقة بخصوصياتنا الوطنية والقومية. وعلى الرغم من تبنّينا للفكر الماركسي في حينه، إلا أن هذا لم يدفعنا إلى ضرب تلك الفرادة التي تشمل رؤيتنا للصراع ضد العدو الصهيوني وأساليب مواجهة هذا العدو، والوحدة العربية، وترابط الوطني والقومي، دون تغليب أحدها على الآخر.

أيضاً لعبت ثورة الجزائر وانتصارها، وكذلك ثورة اليمن الجنوبي وانتصارها، تأثيراً قوياً في اتجاه تفكيرنا حول مسؤولية الشعب الفلسطيني الطليعية بالدرجة الأولى في عملية التحرير. وبالتالي، أسهمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بشكل فاعل في توسيع وتطوير العمل الفدائي والكفاح المسلح حيث بدأت ظاهرة الكفاح المسلح في الستينات، وكان دور غيفارا غزة في العمل الفدائي داخل غزة والمواجهات اليومية المباشرة مع العدو الصهيوني من العلامات المضيئة في تاريخ الكفاح الفلسطيني المسلح. ولكن لم يكن هناك مواجهة شعبية شاملة إلى أن نضجت الظروف داخل الأراضي المحتلة، وتبلورت مع انفجار الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ لينتقل ثقل العمل الفلسطيني إلى داخل الأراضي المحتلة مع الانخراط الشعبي في المقاومة والانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠. وعند استعراضنا لمسيرة الثورة الفلسطينية المعاصرة منذ انطلاقها وحتى الآن، أستطيع أن أسجل بأن الانتفاضة المجيدة الأولى والثانية مثلتا أعلى مرحلة في هذه المسيرة، دون أن نغفل عن صمود المقاومة دفاعاً عن نفسها في عدة مواقع وخاصة أمام الاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢. وباختصار، يمكن القول: إن جدل الداخل والخارج في العمل الفلسطيني فرض علينا العمل الفدائي في الخارج، وسريته في الداخل إلى أن تبلورت الظروف في عام ١٩٨٧ مع انطلاقة الانتفاضة المجيدة.

• لقد كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي السباقة تاريخياً، من خلال «شعبة العمل الخارجي»، التي كان يشرف عليها الشهيد وديع حداد (أبو هاني)، في رفع شعار «وراء العدو في كل مكان»، والقيام بجملة من العمليات الفدائية الخارجية التي لعبت دوراً هاماً في التعريف بالقضية الفلسطينية وفرضها على «الأجندة السياسية الدولية». لكنك لاحقاً أصدرت قراراً بوقف هذه العمليات الخارجية. هل لك أن تشرح لنا ضمن أيّ استراتيجية تم التفكير والتخطيط لهذه العمليات الخارجية؟ وما أسباب قرارك وقفها لاحقاً؟

*** إن أشكال وأساليب النضال لا تحدّد اعتباطاً، وإنما هي استجابة محددة لصراع محدد، يتحكم بها وبصياغتها على المستوى الاستراتيجي أو التكتيكي، الأهداف المنوي تحقيقها وطبيعة العدو الذي نواجهه. وعلى هذا الأساس كان العمل الخارجي الذي أشرف عليه الشهيد وديع حداد «أبو هاني»، ورفعه لشعار «وراء العدو في كل مكان» في تلك الفترة الزمنية يأتي استجابة لمجموعة من الظروف والأهداف المنوي تحقيقها، ومنها كما أشرت في السؤال: التعريف بالقضية الفلسطينية وفرضها على الأجندة السياسية الدولية. ولكن، وعلى ضوء التطورات التي حدثت لاحقاً، وبعد أن أصبحت القضية الفلسطينية في مركز الصدارة عالمياً، وبما أن نضال شعبنا الفلسطيني هدفه تحقيق الحرية والاستقلال الوطني من خلال دحر الاحتلال عن أرضنا، فقد ظلّت استراتيجية المقاومة والكفاح المسلح قائمة، إضافة إلى كل أشكال النضال الأخرى السياسية والإعلامية والثقافية والاجتماعية هي الأساس في تفكيرنا. ولذلك كان القرار بإيقاف العمليات الخارجية لأن الهدف المرحلي من تلك العمليات كان قد تحقق. وكان لا بد أن يتجه تفكيرنا إلى العمل والنضال داخل فلسطين، فتغيير أدوات النضال حسب كل مرحلة لا ينفي الأساس في استراتيجية المقاومة والكفاح المسلح، فحق العودة والنضال من أجل تحقيق هذا الهدف بالنسبة إلى فلسطينيّي الشتات لا يزال هدفاً ومحرضاً أساسياً للنضال في الخارج. وفي سياق صراعنا المرير مع العدو الصهيوني، يمكن إبداع أشكال مختلفة من النضال تتلاءم والظروف والتطورات التي تواجه قضيتنا.

أخيراً، يتيح السؤال فرصة لتقويم دور الشهيد وديع حداد في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني. فنحن نقدر عالياً الدور الذي قام به الشهيد وديع حداد في تنظيم الخلايا السرية المسلحة للعمل داخل فلسطين من خلال موقعه القيادي في حركة القوميين العرب، وكذلك دوره كأحد مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على أثر هزيمة حزيران ١٩٦٧. وأبرز ما في حياة وديع وكفاحه من دروس، هو أنه قلب المعادلة بين الثائر والعدو رأساً على عقب، فتحول الثائر من مطارَد، يلاحقه العدو في كل مكان إلى مطارِد لذلك العدو في كل مكان. إنها ذروة الثقة بإمكانات الشعب والثورة على استمرار النضال حتى تحقيق أهدافنا المشروعة بالتحرر والانتصار.

• لقد كان لليسار الفلسطيني، ومن ضمنه «الجبهة الشعبية»، دور مركزي في تأسيس الحركة الوطنية الفلسطينية، وفي تكثيف العمليات النضالية والفدائية على الأرض. لكن هذا اليسار لم يستطع لاحقاً تشكيل قطب سياسي بديل لما هو مطروح، بحيث تلتف حوله الجماهير الشعبية الفلسطينية. ما هي أسباب ذلك؟

*** إن عدم إعطاء عملية التجديد داخل القوى اليسارية الفلسطينية حقها من الاهتمام بالمعنى التاريخي، أي على مدار السنوات السابقة، هي من الأسباب الذاتية التي أوصلت اليسار إلى الوضع المأزوم الذي يعيشه اليوم، وبالتالي عدم قدرته على أن يصبح قطباً سياسياً بديلاً لما هو مطروح حالياً. وهذا، بدوره، يشكّل سبباً مهمّاً في أزمة العمل الوطني الراهن ككل. لكن هذا السبب ليس هو السبب الحاسم أو الوحيد لمظاهر هذه الأزمة العامة والشاملة، فهناك أسباب أخرى كثيرة لهذه الأزمة منها الواقع الموضوعي الصعب الذي تعيش في ظله القوى اليسارية والديموقراطية عموماً ومنها «الجبهة الشعبية»، وذلك بسبب طبيعة الأنظمة العربية عموماً، وواقع حركة التحرر العربي العاجز والمأزوم وعدم قدرة هذه الحركة بالتالي على تقديم نفسها بصورة فعالة وطنياً وقومياً.

إن المظهر السائد في الواقع الرسمي العربي، الذي توّج بالانخراط الكامل في مشروع الحل الأميركي - الصهيوني منذ مسيرة مدريد، ومن ثم أوسلو وحتى اليوم قد انعكس بصورة سلبية ليس علينا فقط كقوى يسارية وديموقراطية فلسطينية، بل أيضاً على واقع الأنظمة العربية الوطنية التي تعاني أشكالاً مختلفة من الأزمات الداخلية الطاحنة والحصار الدولي الذي لا يسمح لها بلعب دور مؤثر قومياً.

هذه الصورة، وإن كانت قاتمة، لا تعني أنها ستستمر على ما هي عليه، فالجماهير الفلسطينية والعربية تواقة إلى التمرد والنهوض والديموقراطية، وثمة حراك سياسي وفكري ونضالي مقاوم يعمل على التصدي للاحتلال الأميركي في العراق، والصهيوني في فلسطين ودحره. وفي هذا السياق، تتحمل القوى اليسارية والديموقراطية ومن ضمنها «الجبهة الشعبية»، مسؤولية تاريخية تتطلب منها التجديد في بنيتها الداخلية وأدواتها الكفاحية، حتى تكون في مستوى المهمات الجسيمة التي تواجه حركة التحرر الوطني الفلسطيني والقومي العربي.

• ما هي تصوّراتك لمستقبل القضية الفلسطينية في ظل الحلول المطروحة الآن في الجانب الإسرائيلي؟ وما تقويمك لأداء السلطة الوطنية الفلسطينية على هذا الصعيد؟

*** كما أشرت في إجابتي عن السؤال السابق، إن استمرار خيار المقاومة هو الخيار الوحيد الممكن أمامنا، ولا يمكن المراهنة على الحلول المطروحة الآن في الجانب الإسرائيلي، ونضالنا يرتبط مرحلياً بالبرنامج المتفق عليه في إطار منظمة التحرير الفلسطينية على أساس إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، وحق العودة. لكن تحرير فلسطين يرتبط بدحر المشروع الصهيوني المرتبط بالإمبريالية الأميركية ومشاريعها في المنطقة، وإقامة دولة فلسطين الديموقراطية العلمانية التي تحفظ حق المواطنة لسكانها دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو الجنس. وتقويمنا لأداء دور كل الفصائل الفلسطينية، بما في ذلك السلطة الفلسطينية، ينطلق من مدى تمسكها بالثوابت الوطنية المتفق عليها، وإذا كانت الظروف الموضوعية السائدة في هذه الفترة بما في ذلك اختلال ميزان القوى على الصعيدين العربي والعالمي يميل لمصلحة الولايات المتحدة الأميركية والصهيونية نتيجة سيطرة القطب الواحد للولايات المتحدة على العالم، فهذا لا يعني أن نسلّم بالحلول المطروحة على حساب حقوقنا التاريخية بالعودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، بل على ضوء الظروف القائمة تصبح المهمة الأساسية حالياً هي الصمود وعدم الرضوخ والسير مع المخطط الأميركي - الصهيوني المرسوم من قبل هذه القوى لتصفية القضية الفلسطينية.

وهذه المسألة من مسؤولية السلطة التي يجب أن لا تفرط بالحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني أمام أية ضغوط، أو حلول تسووية ممكنة. وفي هذا السياق، يجب أن يتجه تفكيرنا كقوى ديموقراطية ويسارية فلسطينية إلى العمل الجاد من أجل تجديد بنيتنا الداخلية، وآليات عملنا وأدواتنا الكفاحية على كل المستويات الفكرية والتنظيمية حتى نكون على مستوى المهمات الجسيمة والاستحقاقات القادمة. من جهة أخرى، لا بد أن نحافظ على المكتسبات التي تحققت لشعبنا عبر نضالات طويلة، وأهمها: الحفاظ على وحدة شعبنا في مختلف أماكن وجوده، واستثمار جميع طاقاته، بوصفه شعباً له حقوق سياسية معترف بها دولياً، وعلى رأسها حقه في الحرية والاستقلال والعودة.

كذلك، علينا العمل من الآن على تجميع شروط قيام دولة ومجتمع فلسطيني حديثين. وعلى صعيد هذه المهمة بالتحديد، على القوى الديموقراطية والعلمانية الفلسطينية أن تبذل جهوداً كبيرة، وتبادر إلى طرح وبلورة مشروعها المجتمعي الذي يؤسس لنظام سياسي فلسطيني ديموقراطي ينهض على أسس وقوانين عصرية ناظمة لحياة المجتمع. ومن هنا، يكون التحالف مع السلطة الفلسطينية وكل الفصائل الفلسطينية على أساس الثوابت الوطنية الفلسطينية التي يجب أن تكون القاسم المشترك بين جميع التنظيمات والمؤسسات الرسمية الفلسطينية.